

عالمية



روايات

AMBY

القوزاق

THE COSSACKS



خليفة



القوزاق



للطبا الكبير ليو تولستوى

تعميد حسين القبا

الولايات المتحدة

العدد رقم ٢٠٠

القوانين

الفصل الأول

الرحيل

كان السكون يخيم على موسكو . وبين كل فترة طويلة وأخرى كانت إحدى المركبات تمضي على الشوارع المكسوة بالجليد . وكانت كل نافذة مظلمة ، ومصابيح الشوارع مطفأة . أما أجراس الكنائس فكانت هي وحدها التي ترسل دقاتها المتباعدة مؤذنة بفجر يوم جديد . الشوارع مهجورة . . وبين الحين والآخر كانت إحدى الزحافات تشق طريقها على الشارع المكسوة بالجليد لتمضي بسرعة أخرى ، بينما يغالب سائقها النوم في انتظار أحد الركاب ، وممرت بعيدة عجوز في طريقها إلى الكنيسة . وفي داخل الكنيسة كانت الأيقونات الملهمة تعكس الأضواء الحمراء الخافتة المرسلة من الشمعدانات . كان العمال قد بدأوا ينهضون بعد ليل شتاء طويلة لتسرفوا إلى أعمالهم .

ولكن السادة المترفين كانوا . . كمهدم في كل ليلة . . مستيقظين .

كانت أضواء حانة شيفالير - المخالفة للقانون في تلك الساعة - تلوح من وراء فرجة في خصاص الباندة . وأمام الحانة كانت تقف زحافة خاصة ، وبعض المركبات ، بينما وقف سائقوها وظهر بعضهم إلى ظهور بعضهم الآخر التماسا للدفع . وكان ثمة مركبة بربد

المتكلم ابتسما . اما حارس البوابة المدثر الى عينية من قرط الشعور
بالبرد ، لقد وقف محتفيا في ركن من البناء .

وقال لنفسه تابع مرهق كان ينتظر في الردهة :

— مامعنى كل هذه الثثرة . ولماذا لا تطول ثورتهم الا
فى نوبتى ؟.

وكانت اصوات الشبان الثلاثة تسمع وهم يتناولون عشاءهم
فى الفرفة المجاورة . وكانت بقايا الطعام والشراب متناثرة على
مائدتهم . واحد هؤلاء الثلاثة كان نحىلا ضيق الصدر قصير
الجسم جالسا يرنو الى صديقه الموشك على الرحيل بعينين مجهدين
بثمان عن الاشفاق . وكان الثانى طويل القامة يداعب باصابعه
سلسلة مفاتيحه . اما الثالث الموشك على الرحيل ، فكان مرتديا
مسترة جديدة من فراء الغنم ، كما كان يروح ويجيء فى جوانب
الفرفة ويكسر بين اصابعه لوزة بين الحين والآخر . وكان متألق
النظرات ، متوهج الوجه ، ترقرف ابتسامة غامضة على شففيه اما
حديثه فكان حارا مصحوبا بحركات من يديه لتصور المعانى التى
تعجز الكلمات عن التعبير عنها .

كان يقول فى تلك اللحظة :

— اننى الان استطيع ان اتحدث بصراحة ، لا دفاعا عن نفسى ،
ولكن لانكما تفهماننى كما أفهم نفسى ، ولا تنظران الى الموضوع من
الزاوية التى ينظر اليه منها الدهماء .

ثم استدار الى الشاب القصير النحيل الذى كان ينظر اليه
باشفاق واردف قائلا :

— تقول اننى اسات اليها بقطعي علاقتى بها ؟.

فاجاب الشاب القصير النحيل بمزيد من الشعور بالارهاق :

— نعم . . بكل تأكيد .

— اننى اعرف لماذا تقول هذا . ان من رأيك ان الانسان يجب



أن يشعر بالسعادة حين يجد امرأة تحبه كما يشعر بها حين يبادل
امرأة ما الحب . ولكن شتان بين الأمرين .

— يكفي يا ولدى أن يكون الإنسان محبوبا .

— لا . . . لابد أن يكون الحب متبادلا . . . أن الحب من طُرف
واحد نعاسة ، نعم . . . أن من سوء حظ الإنسان أن تحبه امرأة
لا يستطيع أن يحبها بدورها . . . لأنه سيكون عاجزا عن أن يمنحها
من نفسه شيئا .
ثم لوح بلزاعيه واستطرد قائلا :

— لو كانت الأمور تحدث بطريقة منطقية لاستراح الناس . .
أشعر كأنى اسرق حب هذه الفتاة ، وحتى أنت ترى هذا . لاتنكر . .
ولكن معظم الأحداث تقع على غير ما يشتهي المرء . . نعم . . اننى
ومع ذلك . . فهل تعلم أن هذه الحماسة الغرامية هي الوحيدة
— بين جميع حماقاتى — التى لا أشعر بالندم من ارتكابها . . اننى
لم أحاول منذ اللحظة الاولى أن أخدعها . لقد ظننت فى اول الأمر
أنى أحبها ، ولكننى اكتشفت بعد ذلك أننى خدعت نفسى ، واننى
لا أستطيع أن أستمّر فى هذا اللون من الحب ، ولكنها عاندت وأصرت
على أن نستمّر فى حبنا . . فهل ثمة لوم على لاننى عجزت عن حبها ؟
ماذا كان فى وسعى أن أفعل ؟ .

فقال صديقه القصير النحيل وهو يشعل سيجارة حتى يطرد
النوم عن عينيه :

— حسنا . . لقد انتهى كل شيء بينكما الآن . وهذا هو المهم .
أنك لم تحب فى حياتك ولا تعرف ما هو الحب .

فأمسك الشاب الموشك على الرحيل برأسه بين يديه وحاول
أن يقول شيئا .
وبعد فترة صمت ، قال :

— لم أحب فى حياتى ؟ نعم . . هذه هي الحقيقة . . اننى لم
أحب فى حياتى . ولكننى أتمنى أن أفعل هذا . وليست هنالك

أمنية اعظم من هذه الأمنية . وفترة أخرى اسأل .. هل الحب موجود حقاً ؟ ان هناك شيئاً ناقصاً في كل عاطفة حب بين رجل وامرأة .. وهذا الشيء الناقص هو الذي يجعل كل حب وهما .. ولكن انتهى كل شيء كما تقول .. وأشعر الآن أنني مقبلٌ على حياة جديدة .

وعندئذ قال الشاب الطويلُ الراقِد على المتكا يداعِب سلسلة مفاتيحه :

— لكي نعلّاه مرة أخرى بالمشكلات .

ولكن الشاب الماسفر تجاهله وقال :

— أنتى حزين وسعيد لهذه الرحلة .. وأنا أعرف لماذا أنا سعيد أما لماذا أنا حزين ، فلا أعرف .

وراح يتحدث لنفسه وكأنما لا يوجد في الغرفة سواه .. وفجأة فتح الباب ووقف فيه تابع شاب في سترة من فراء الغنم ، ومظرف صوفى حول عنقه . وقال للشاب الماسفر :

— أولفين دبمري اندريفتش .. ان سائق الرحلة لم يعد يطبق الانتظار . والجياذ واقفة منذ الساعة الحادية عشرة مساءً ، وهي الآن تقترب من الرابعة .

ونظر أولفين — الشاب الماسفر — الى تابعه فانيوشا . ثم قال :

— نعم يا فانيوشا .. لقد حانت لحظة الوداع .

وببادل الشبان الثلاثة القبلات . وشرب أولفين لماعة كأسه ، ثم صافح صديقه القصير التحيل بحرارة .. وقال له وهو مضطرم الوجه :

— سوف أكون صريحاً في حديثي الآن ، وهذه الصراحة نابعة من حبي لك . أنك تحبها ليس كذلك ! لقد كنت اعتقد أنك تحبها من أعماق قلبك فهل أنا على صواب ؟ .

لَقَالَ الشَّابُّ الْقَصِيرُ النَّحِيلُ بِصَوْتٍ هَادِيٍّ :

— نَعَمْ —

— أَذُنُ أَرْجُو أَنْ تَسْعِدَ بِهَا وَتُسَعِّدَهَا . —

وَدَخَلَ لَخَادِمِ الْحَانَةِ وَقَالَ بِصَوْتٍ يَفْلِبُ عَلَيْهِ النَّعَاسُ :

— مَعْدَرَةٌ أَيُّهَا السَّادَةُ . لَقَدْ حَانَ وَقْتُ اطْفَاءِ الْأَنْوَارِ . —

لَمْ اسْتَدَارِ إِلَى الشَّابِّ الطَّوِيلِ . . وَارْدَفَ قَائِلًا :

— هَلْ أَقْدَمَ لَكَ بِاسْبِدَى قَائِمَةُ الْحَسَابِ ؟ —

— لَعِبَ . . أَكْمَ ؟ —

— خَمْسَةٌ وَعَشْرِينَ رُوبَلًا . —

وَبَيْنَمَا كَانَ الشَّابُّ الطَّوِيلُ يَدْفَعُ الْحَسَابَ ، تَخَرَّجَ الْمَسَافِرُ وَصَدِيقَهُ الْقَصِيرُ النَّحِيلُ إِلَى الرِّدْهَةِ . . وَكَانَ هَذَا يَقُولُ :

— وَدَاعَا يَا صَدِيقِي الْمَرْيَمُ ! —

وَقَفَرَتِ الدَّمُوعُ إِلَى عَيُونِ الصَّدِيقَيْنِ . . وَاسْتَدَارَ أُولَئِكَ إِلَى الشَّابِّ الطَّوِيلِ حِينَ لَحِقَ بِهِمَا وَقَالَ :

— لَقَدْ دَلَعْتَ الْحَسَابَ ! حَسَنًا . . أَرْجُو أَنْ تُضَيِّقَهُ إِلَى قَائِمَةِ مَضْبُوقَاتِي عِنْدَمَا تُرْسَلُ الدَّفْعَةُ الْأُولَى مِنْ إِبْرَادَى إِلَى .

— تَسْمَعَا وَظَامَةً . . آه . . لَشَدَّ مَا أَحْسَدَكَ عَلَى هَذِهِ الرَّحَلَةِ يَا أُولَئِكَ .

وَجَلَسَ أُولَئِكَ فِي الزَّخَاةِ . . وَاتَّسَحَّ بِجَانِبِهِ مَكَانًا وَقَالَ لِلشَّابِّ الطَّوِيلِ :

— أَذُنُ لِمَاذَا لَا تَأْتِي مَعِيَ ؟ هَلَمْ أَرْكَبُ . —

وَلَكِنْ هَذَا تَجَاهِلُ الدَّعْوَةَ وَقَالَ :

— لَيْكُنِ اللَّهُ مَعَكَ يَا أُولَئِكَ . . وَدَاعَا . —

وقرّع المائق بسوطه .. وانطلقت الرحافة بصريها على
جليد الشارع ..

وقال احد الصديقين للآخر:

- انه شاب لطيف ، أولئنا ولكن ما اغرب قيامه بهذه الرحلة
الى القوقاز ! لماذا القوقاز بالدات ؟ ومتطوعا فى الجيش المربط
هناك ايضا ! اننى شخصا لا أستطيع ان افعل هكذا مهما يكن
الشن ..

وبعد برهة صمت ، اردف قائلا:

- هل ستعتنى فى النادى ؟ ..

- نعم ..

وشعر المسافر أولئنا بالدفاء .. بل بالحرارة المنبئة من
مشرته المصنوعة من فراء الغنم .. وكان جالسا فى أرضية الرحافة،
وقد فتح أزرار مشرته ، بينما أخذت الجياد الثلاثة الفزيرة الشعن
تجر سيقانها من شارع مظلم الى آخر . شوارع لم يرها أولئنا
من قبل .. ولكنها كما خيل إليه ، لابد من ان يمر بها كل مافى
فى طريقه الى خارج المدينة فى رحلة طويلة . وكان الظلام المحبب
به مطبقا ومثيرا للانقباض .. اما النفس فكانت زاخرة بالدكريات
ذكريات الحب .. والندم .. والشعور بالقدرة على كبت
الدموع ..

الفصل الثاني

المرحلة

قال أولئين يكرر القول لنفسه !

• اننى احبهم •• احبهم جدا •• انهم اصدقاء طيبون ••

ولكن •• لماذا كان يرفض أن يبكى •• ومن هم هؤلاء الاصدقاء الطيبون ؟ انه لم يكن يعرف على وجهه اليقين •• وكان بين الحين والآخر يتلفت حوله وينظر الى بعض المنازل ويتساءل لماذا شيدت على هذا الطراز •• وأحيانا كان يخامره العجب والتساؤل لماذا يجلس السائق وفانيسوا قريبين منه ، ولماذا يتأرجح فى هذه الزحافة فوق هذه الشوارع الجليدية •• ومرة أخرى كان يقول لنفسه !

• اصدقاء من الدرجة الاولى •• ما أشد حبى لهم ••

وتخيل اليه انه مخمور •• ولكن لا •• حقا لقد شرب بضع كؤوس من الخمر •• الا ان احساسه هذا الجديد لم يكن نابعا من الخمر وإنما من شىء آخر •• لقد تذكر كلمات الوداع والمصافحة •• والنظرات المبللة بالدموع ، والضمت ، انهم جميعا يحبونه ، حتى الذين كانوا يكرهونه •• تماما كما يحدث للانسان المحتضر عند ساعة الاعتراف •• ومن يدري ، فلهل لن يعود من رحلته هذه أبدا ••

ولكنه فى أعماق نفسه كان يشعر أن احساساته هذه لم تكن نابعة من الحب لأصدقائه ومعارفه ، ولا من الحب لهذه الفتاة التى لم يحبها قط ، وإنما من الحب لنفسه .. الحب للحياة الجديدة المثرف عليها .. الحب لكل ما هو خير فى نفسه ، ولم يعد فى تلك النفس شئ غير الخير .. وأن هذا الشعور ليرغمه على إطلاق الدموع الحبيسة فى عينيه .

كان أولتين شابا ترك دراسته الجامعية قبل اتمامها ، ثم اشتغل موظفا فى هذه الإدارة الحكومية أو تلك . وقبل أن يبلغ الرابعة والعشرين من عمره كان قد ضيع نصف ثروته الطائلة . وعلى الجلة أكان واحدا من هؤلاء المعروفين فى موسكو باسم « الطبقة الراقية » .

كان منذ الثامنة عشرة من عمره متحررا من كل العبود بعد أن مات والداه تاركين له ثروة كبيرة . وهكذا انطلق فى الحياة يعمل ما يشتهى بلا قيود مادية أو اخلاقية .. بلا قيود عائلية أو اجتماعية .. بلا إيمان بالحب .. لم يكن يعرف شيئا سيمه الحب بين رجل وامرأة .. وإنما هى الغريزة التى تحكم هذه العلاقة فقط . ومع هذا كان يشعر بالحرج والأرباك أمام كل فتاة وسيدة جميلة يراها لأول مرة . ورغم احتفاره بالألقاب وذوى المراكز الكبيرة ، إلا أنه كان يشعر بالزهو كلما تلقى دعوة من عظيم أو أمير حضور إحدى الحفلات . وكان إذا شعر أن مغامرة ما أو أى حدث سيؤدى إلى تقييد حريته فى التصرف ، أسرع بالتخلص من الموقف نل أن يتمادى فيه .. وهكذا كان ينطلق كالطائر الحر فى المجتمع الروسى ، إلا أن هذا الإطلاق كان سببا لضباع نصف ثروته ، ووقوعه فى كثير من المشكلات الناجمة عن علاقات بالنساء مما أدى به فى النهاية الى مشكلة خطيرة مع إحدى فتيات المجتمع الروسى ، ولم يكن هناك من سبيل للخروج من هذه المشكلة إلا القيام برحلة طويلة نهذا خلاها سباحات الاستنكار وبسرد بعدها مكائنه فى المجتمع ، وحتى بدء هذه الرحلة كان يشعر أنه عاش حياته فى سلسلة من الأخطار وأنه لم يستطيع أن يصنع لنفسه هدفا فى الحياة .. ولكنه ، مع بدء هذه الرحلة ، شعر أنه سيبدأ

حياة جديدة ، بلا أخطار ، وبلا نزوات وبلا ندم .. وانما حياة لها هدف .. ولها طابعها الخاص من المعبادة .

وهكذا كان احساس اولئين فى اول صباح اشرق عليه وهو ماض فى رحلته الطويلة .. انه يترك وراءه ذكريات مرحلة من حياة مليئة بالأخطار والنزوات ، ويبنى فى خاله قصورا فى الهواء ..

ولما تركت الزخافة المدينة وراءها واندفعت فى طريق زراعى تمتد على جابه اراض واسعة مكوة بالجليد . شعر اولئين بالعطلة والرفى ، ودثر نفسه جيدا بسترته وبساطه صوفى ، ورفد فى قاع الزخافة ليلام . ولكن اهياج مشاعره جعل النوم عمرا عليه .. وعادت الذكريات تنسرح فى ذهنه . ذكريات الاصدقاء .. والسهرات .. والديون المتراكمة عليه .. والحب الأخير .. آه .. لقد ظن يوما انه رفع اسرا لحب هذه العدة الثرية .. ولكنه صحا ذات يوم واذا هو محرر من هذا الحب .. واذا هو سعيد .. ان فيود الحب لا تغرق كثيرا عن قيود السجن .. وما اسعد الانسان الذى يستطيع ان يحطمها ويحبسها ومع ان هذه العنة كانت على استعداد ان تتزوجه رغم ديونه ، ورغم ان الزواج منها كان سحرره من قيود هذه الديون ، الا انه فصل قيد الدين على قيد الزواج من فتاة لا يحبها . ان قيد الدين يمكن ان يتحرر منه بعد عام من الحياة المنقصة الخالية من السهرات الحمراء ومن الاسراف فى شرب الخمر ، ومن البعد عن موثد الميسر .. اما قيد الزواج من فتاة لا يحبها فكيف ومتى يمكنه التحرر منه ؟

قرر ان يعيش عاما بعيدا عن اصدقاء المجتمع .. ودبر له امر هذه الرحلة الى القوقاز جماعة من اصدقائه .. تبهم شاب من حاشية القيصر نفسه . وهكذا نبل بطوعه فى الحاشية المرابطة فى القوقاز . ومن بدرى .. فلعلة يقوم بأعمال بطولية نجعله جديرا بوسام ولفب كولونيل فى الحرس القيصرى .

ووصل اولئين مع الضحى الى المخفر الثالث فى الطريق ؟ فشرب فيه بضعة اقذاح من الشاي وساعد فانينوشا فى اعادة وضع الحماط والحاجيات ثم الاستقرار بينما بحسب المسافة التى

انظما ، والمسافات الباقية حتى نهاية الرحلة .. المسافة الى كل مخفر .. والمسافة الى كل مدينة . والاماكن التى سيتناول فيها افطاره او غداءه او عشاءه ، والحانات التى سيبيت فيها لباليه .. وفى الوقت نفسه كان يحسب ايراده من املاكه الواسعة فى ذلك العام .. وكم سيحتاج من مبالغ لتسديد ديونه ، وكم سيحتاج للحياة فى القوقاز ، وكم سيتبقى بعد ذلك !.

وتنهى فى ارياح عندما ادرك انه يستطيع تسديد ديونه كلها فى ثمانية اشهر ، وان يتسلم فى كل شهرين الف روبل . وان يتبقى له بعد ذلك اكثر من عشرة آلاف روبل يبدأ بها مرحلة جديدة من الحياة .

وتطلع بخياله الى ارض القوقاز .. انه لم يزرها من قبل .. ولكنه سمع الكثير عن شجاعة رجالها ، وعن جمال نساءها . وعن لخشونة الحياة فيها .. وفرر فى نفسه ان يحيا فيها حياة خالية من كل خطأ .. ان الخطأ فى بلاد كهذه قد يكلفه حياته .. وهو انى هذه السن احرص ما يكون على هذه الحياة !.

وامتد به الخيال الى كوخ حمل ، والى زوجة قوقازية حسنة موفورة الشباب والقوة .. تنتظره على مدخل الكوخ حين يعود اليها فى المساء مقبرا ، مكلا الملح للقى قبلاتها ، وضاماتها وليقضى معها فى ضوء القمر امسية جميلة .

ومن يدري .. فاعلمه يعود بها انى موسكو ليعلمها اللغات وآداب المجتمع ، ويجعل منها كوكبا لامعا فى سماء المجتمع الروسى يمسكو .

وفى صباح اليوم التالى ، تكرر هذا كله مرة اخرى .. المناظر .. والخافر ، والاراضى الشاسعة على الجانبين .. والاستراحات .. وشرب الشاي ، والذكريات .. والامال !.

وبقى الليل .. وبقي النوم ولنسين على امره .. ليعود مرة اخرى مستيقظا فى صباح جديد !.

كان أولئين يشعر انه كلما ازداد بعدا عن وسط روسيا، ازدادت
ذكرياته القديمة بعدا عن ذهنه ، وكلما اقترب من ارض القوقاز ،
ازداد احساسا بالبهجة والامل . وكثيرا ما خطرت بباله فكرة
الاستقرار نهائيا فى القوقاز وعدم العودة الى موسكو اطلاقا .
وكان يقول لنفسه فى هذا الشأن :

- ان الناس هنا لا يعرفون عنى شيئا . ليس بينهم احد سبق
له الدخول الى موسكو ، او يحتمل ان يذهب اليها .

وعندئذ كان يخامره شعور بهيج جديد بالتخلص من ماضيه
كله . . من ديونه . . واصدقائه المتعمين بشرويه . . ومن نفاق
المجتمع . . ومن يدري . . فلعل هذا ما سوف يحدث ! هكذا كان
يحدث نفسه .

ولما وصل الى القوقاز السفلى ، استبدل بالزحافة مركبة برية
حتى اذا ترك مدينة سناتروبول وراؤه ، اشتدت حرارة الجو مما
يجعله يخلع سترته الوبرية - آه . . انه يعبر فى جو ربيعى . .
ربيعى ناضر جميل عاطر الهواء بالشذى الفواح من الزهور . .

وفى المساء كان الحراس يحذرونهم من الخروج الى ما وراء
هضاب القوقاز ، حتى لا يقعوا فى ايدى عصابات قطاع الطرق من
قبائل التتار . واثارت هذه التحذيرات فى قلب فانبوسا الخوف
والقلق ، جعلته بنام وسندفبه المخشوة بالبارود بجواره . اما
أولئين ، فكان يزداد احساسا بالبهجة والرضى . وفى احدئ
المخاطر ، قال لهم الحارس ان جريمة قتل رهينة وقعت فى الطريق
الجلى خارج المناطق الآهلة . . ولما استأنفوا السفر فى اليوم
التالى ، لاحظ أولئين ان الرجال جميعا كانوا يسرون مسلحين
بالبنادق والخناجر والسيوف ، وقال لنفسه « الآن وصلنا الى
برارى القوقاز » وراح يحدق فى الافق البعيد آملا ان يرى نى اية
لحظة جبال القوقاز المتوجة بالثلوج التى طالما سمع عنها . وفى ذات
مساء اشار سائق المركبة الى قمم وراء السحب ، فنظر أولئين اليها
بلهفة ولكنه رأى السماء ملبدة بالغيوم التى اخفت وراءها الجبال .
ومن لم لم يستطع الا ان يرى انقا رماديا تتخلله سحائب بيضاء

وعبثا حاول أن يرى شيئا من الجبال فى تلك الركام الرمادية . .
ولخيل اليه ان الوان الجبال التى طالما سمع بها عن جبال القوقاز
المتوجة بالثلوج ليست الا شيئا من صنع الخيال ، مثل موسيقى
بأخ ، ومثل الحب ، وكلاهما لا يؤمن به .

ولكنه حين استيقظ مبكرا فى صباح اليوم التالى بأحد
المخافر ، فوجيء وهو يلقي نظرة عابرة الى اليمين ، برؤية قمم هائلة
ناصعة البياض قريبة منه ، وكأنها لا تبعد عنه غير بضعة خطوات . .
وكان الجو صحوا والهواء منعشا والرؤيا واضحة . . وبدأت له هذه
القمم الناصعة كأنها عند متناول يديه برغم أنها فى الواقع كانت
تبعد عنه مئات ومئات من الأميال . ولما أدرك مدى بعدها عنه ،
ومبلغ ضخامة هذه الجبال ، خشى أن يكون الأمر كله حلما او سرايا
. . ومن ثم راح يؤكد لنفسه انه يقظان ، وأن ما يرى ليس الا
بحقيقة لا سبيل الى انكارها .

وسأل سائق المركبة مشيرا اليها :

— ما هذا ؟ ما هذا ؟ .

فقال السائق بغير اهتمام :

— عجا ! انها الجبال .

وقال التابع فانوشا :

— لقد ظلت انظر اليها مدة طويلة . . ليست رائعة ! انهم لن
يصدقونى حين اعود الى موسكو وحدثهم عنها .

واستمرت المركبة فى طريقها حتى اقتربت من نهر تيريك . .
ورأى أولئين رجالا ونساء جميلات من قبائل القوقاز . . وقال
لنفسه فى النهاية :

— هانذا امضى فى برارى القوقاز غير خائف . . ولماذا اخاف
ومعى بندقيتى ، وشيابى . . وقوتى . . وهذه الجبال الشامخة ! .

الفصل الثالث

القوزاق

كانت قرى القوزاق العليا تنائر على ضفة نهر بيريك اليسرى
ن مسافة خمسين ميلا طويلا ، وكان نهر بيريك الذى يعصل بين
بائل القوزاق ، وبين قبائل التتر الجبلية ينطلق فى مجرى عريض
حف به من الجانبين نباتات الغاب المالحة ، وأشجار البلوط والحوون
إدغال النباتات المتسلقة ، اما الضفة اليمنى ، فكانت تنائر عليها
وعلى الهضاب والتلال المنادة منها الى الجبال قبائل التتر
الروسية . اما قرى القوزاق ، فكانت تقع بعيدا عن الضفة اليسرى
بمسافة نصف ميل تقريبا ، وبين كل قرية وأخرى نحو ستة أو
سبعة أميال . وعلى طول هذه الضفة اليسرى كانت تقوم مخائن
الحراس القوزاقيين الذين يؤدون مهمة طرد عصابات التتر التى
اعتادت ان تغمر بين الحين والآخر على قرى القوزاق . اما فى
الشمال فكانت تبدأ صحراء نوجاى او هضبة مزدوك التى تمتد الى
مناطق التركمان . واما فى ناحية الجنوب ، بعد نهر بيريك ، فكان
بمعد نهر شيسكتايا ، ثم سلسلة جبال كوشكاليكوف . ثم الجبال
السوداء ، ثم القمم المكسوة بالثلوج ، التى يراها الناس فقط ، دون
ان يصلوا اليها .

والقوزاقى قد يحترم ويحب عدوه الجبلى ، ولكنه يكره الجنود

الروصيين المراكبيين فى بلاده ، لانهم يرمزون للضفد والاحتلال والقهر والتسلط وتقييد حريته ، بل ان القوزاقى يعتبر الفلاح الروسى قريبا عنه ، دخيلا عليه ، متطفلا على ارضه . وقبائل القوزاق ترى ان افضل الاسلحة هى التى يشترونها من قبائل التتر الجبلية ، او يظفرون بها منهم فى المناوشات الحربية . وكذلك كانوا يعتبرون ان احسن الجياد هى جياد تلك القبائل التى يحصلون عليها بالثمن او بالسرقة . والشباب القوزاقى يفخر ويزهو على اخوانه حين يتقن الحديث باللغة التترية . وكذلك رجال التتر لم يكونوا يحترمون احدا ولا يحفلون باحد الا بالقبائل القوزاقية .

والقوزاقى يشغل وقته اما بجنديا فى احد مخافر الحراسة ، او فى الصيد داخل الغابات او فى صيد السمك . . او فى الحملات الحربية وهو قلما يعمل شيئا فى القرية . . انه لا يذهب الى قريته الا بين الحين والآخر . . وحين يذهب اليها ، فانما ليقضى فترة من الراحة والاستجمام اذا كان متزوجا ، وفترة من الحب والفزل مع بنات القرية ان كان امزج . . والقوزاق يصنعون خمرهم بايديهم من كروم العنب التى يزرعونها بكثرة . وهم لا يشربونها بادمان ، ولا الى حد السكر . والقوزاقى ينظر الى المرأة كأنها مخلوق ملك يديه . . ولكن الحقيقة هى ان المرأة تكاد تكون كل شئ فى حياة الرجل القوزاقى . . انها هى التى تشرف على شئون البيت وتربية الاولاد وهى التى تقوم بالعمل فى المزارع والحقول ، وهى على الجملة اقوى احتمالا من الرجل ، والاذكى ، واكثر اتزانا ، واقدر على العمل .

والرجل القوزاقى يرتدى قلنسوة وصديرية فوقها سترة من اللون شتاء ، وسراويل خفيفة . اما المرأة ، فانها تعصّب راسها بمندبل زاهى اللون يصل الى عينيها ، وتخفى نصف جسمها الاعلى بصديرية محكمة تبرز جمال الضلوع ، وتحتها جلباب طويل من الحرير الطبيعى الملون .

ويعيش القوزاق على محصول ارضهم من الكروم والاعناب والفواكه والبطيخ والخضروات والسمك وصيد البر والاذرة والبقول .

وقرية نوفومسك التي تقرر ان يذهب اليها أولثنين ، تقع على ميلين ونصف ميل من ضفة نهر تيريك . وهذه المسافة التي تفصلها عن النهر عبارة عن غابات كثيفة الأشجار ، ملتوية الممرات والدروب ، لا يستطيع السير فيها الا الرجل المدرب عليها ، وعلى جانب الطريق الرئيسي في الغابة يجري جدول مائي عذب ، وتمتد على ضفته الاخرى بساتين الكروم حتى تصل الى حافة صحراء لوجاي . اما القرية فهي محاطة بالحقول وبالأراضي الجرداء وبالنباتات البرية المختلفة ، ويمكن الوصول اليها من ناحيتين ، لكل ناحية بوابة كبيرة عالية يحرسها مدفع من طراز قديم ظفر به القوزاق في احدى المعارك الحربية القديمة . ويقوم على حراسة كل بوابة قوزاق في ملابس عسكرية كاملة . ولكن الحارس كثيرا ما يتركها ليحضر الى الغابة لصيد الحيوانات البرية او السمك . وتوجد على البوابة الرئيسية لوحة بيضاء مكتوب عليها هذه الأرقام : عدد المنازل ٢٦٦ وعدد السكان الذكور ٨٩٧ وعدد السكان الإناث ١٠١٤ . وتقوم الأكواخ القرية القوزاقية على دعائم ترتفع عن الأرض نحو قدمين ونصف قدم . وهي مشيدة من خشب السنديان ومسقوفة ببراعة بالغاب المنين . ويشكون كل كوخ من غرفة أو اثنتين ، واحباتنا من ثلاث . والغرفة المخصصة للفرن تكون أرضيتها من البلاط الذي يتحمل الحرارة ، وتقع بين كل مجموعة من الأكواخ حارة أو زقاق أو شارع ضيق . كما تقوم حولها أشجار تظللها وتنبع في أجوائها شذى الأزهار . وتكثر في القرية نباتات عباد الشمس الذي ينسلي بدوره (١) شباب القرية وفي الميدان الفسح في وسط القرية تقوم ثلاثة حوايت لبيع بدور عباد الشمس والحلوى وبعض البقول . اما بيت الكولونيل قائد الحامية فهو أكبر البوت ، ويقوم وراء عدد من الأشجار العالية وله نوافذ وفرفات تؤدي الى حديقة واسعة . وتدور شوارع القرية في أيام الأسبوع خالية : لأن سكانها ينصرفون عنها الى أعمالهم المختلفة . على الحقول أو الغابات أو مراكز الحراسة . ولا يبقى في القرية إلا **المجانز والأطفال والمرضى** .

(١) بدور عباد الشمس تشبه الباب الذي ينسلي به شبابنا وأطفالنا

ولقي أمسية من الأمسيات المألوفة في القوزاق ، عندما بدأت الشمس تختفي وراء الجبال وترسل أشعتها النارية الحمراء الى السماء وتلون السحب بالألوان القرمزية المتدرجة ، اخذ سكان القرية يهرمون في العودة اليها قبل ان يدهامهم الليل الملىء بالخاوف في سميت الوحوش البرية والمضايقات الجبلية . وهكذا لاح كان القرية تسقط من سبات الاصيل لتستقبل العائدين من الحقول والغابات . النساء يهرمن حاملات المحاصيل ، والفنيات يقطن المركبات التي تجرها الثيران والابقار ، والرجال يعضون طاجلين او على منون الجبال . . . وتمتلئ شوارع القرية بالرجال والنساء والمركبات والابقار واسراب الناموس والزناير ، ويمتلئ الجو بالأحاديث والضحكات ، وبين الحين والآخر يرى جندي قوزاقي بعضى بجواده الى نافذة كوخ فيطرق عليه ، ماذا اطلت منة إحدى الفتيات ، راح يتبادل معها همسات الفزل ويتوأمدها معها على اللقاء ليلا .

ويتنشر الأطفال والظلمان بصرخون ولبعبون « النحلة » وترتفع أصوات الرجال بالدعابات ، وتتصاعد من مداخل الأكواخ سحب الدخان التي تنم عن الأفران الموقدة لأعداد طعام العشاء .

وكانت المعجوز أوليتكا زوجة الضابط المتطوع بالتدريس في مدرسة الحامية العسكرية ، قد خرجت من كوخها . كفيها من النساء المبتائز ، برقب ابنتها الشابة الحناء ماريانكا وهي تقود المركبة من الحقول الى ساحة الكوخ . وما كادت الجاموسة الضخمة تقترب من الكوخ حتى اندفعت الى الساحة وهي نخور بسرور حين واثبتت سبلتها المعجوز . . . وفيما كانت ماريانكا تعمل على فصل الجاموسة والبقرة من المركبتين ، وتدفع بهما الى المربط ، هتفت بها قائلة :

- اخلي حذاءك يا ماريانكا حتى لا يبلى بسرعة من كثرة الاستعمال .

ولكن ماريانكا لم تفض ، وانما ابتسمت واسرعت الى المربط حاملة أوعية اللبن لتحلب الجاموسة والبقرة . وبعد ان فرغت

امبرفت الى الفرن .. ووقفت الأم بباب الكوخ ترقب الحياة وهي
تنبض بقوة في انحاء القرية قبل ان تهب مرة اخرى عند انسداد
الليل .

ومن الكوخ المقابل عبر الشارع اقبلت سيده طويلة القامة قوية
البنية الى المعجوز اولتيكا تلتبس منها هود نقاب .. وقد قالت :

- ظاب ماؤك يا صديقتى .. هل فرغت من عملك ؟

- ان ماريانكا تضرم النار في الفرن .

ثم اردت قائلة وهي تشمر بالزهر لانها تنسج صنيعة
لجارتها :

- هل تريدن هود نقاب يا صديقتى ؟

ودخلت المراتان الكوخ ، وفتحت اولتيكا علبة النقاب بيدها
مترعدة ، وفدست لجارتها هودين فقط ، لان النقاب كان من اللع
النادرة التي يعسر الحصول عليها في براري القوزاق . وبدا ان
الجارّة لم تحضر للنقاب فقط ، وانما لتشاور قليلا مع جارتها المعجوزة
اولتيكا . ومن ثم جلست في استرخاء وقالت :

- الا يزال زوجك العزيز غائبا في المدرسة ؟

فقالت اولتيكا زوجة المدرس :

- نعم .. انه لا يزال يعلم الشباب .. وقد كتب يقول انه
سيحضر في الاجارة .

- انه رجل مثقف جدا .. وهو يقوم بعمل مهم يا صديقتى ..
ليس كذلك ؟

- نعم .. حقا .

- ان ابني لبوكا لا يزال حارسا في المخفر .. وهم لا يسمحون
له بالعودة الى البيت هذه الايام .

ولاح بوضوح ان الجارة جاءت لتدبر الحديث وتركه حول

أبنتها ليوكا الذى التحق منذ عهد قريب بالجيش ، وأصبح أحد
حراس المخافر فى القوقاز .. وكانت أمه ترغب فى زواجه من
ماريانكا ابنة جارتها اولتيكا .

وقالت اولتيكا :

— اذن فهو لا يزال فى المخفر ؟

— نعم يا صديقتى .. انه لم يعد منذ الاجازة الماضية .. وقد
أرسلت اليه اول أمس مع صديقه فوشكين صديريه وقميصا .
وقد قال لى فوشكين ان ليوكا بخير ، وان الضباط يحبونه ، وقال
أيضا انهم فى المخفر يتربصون للتتر ، وان ابنى سعيد بعمله جدا .
فكانت اولتيكا زوجة المدرس :

— آه .. شكرا لله على هذا .. لاشك ان ابنك جدير بلقب

« الخفاف » .. وهو اللقب الذى اطلقه عليه أهل القرية .

وكان أهل القرية قد أطلقوا هذا اللقب على ليوكا عندما
استطاع ان « يخطف » غلاما من النهر قبل ان يفرق . وكانت
اولتيكا تهدف بحديثها عن ليوكا الى ارضاء أمه .

وقالت الام بصوت ينم عن الرضى :

— اننى احمد الله فى كل يوم لانه اعطانى ابنا طيبا . انه شاب
ممتاز والجميع يحبونه ويثنون عليه .. وان املى الوحيد قبل
الموت ان اراه متزوجا من فتاة جميلة بارعة .

فردت العجوز اولتيكا فى صوت ينم عن المكر وهى تعيد
بأصابعها المعقدة الفطاء الى علبة النقا :

— حسنا .. أليس فى القرية بنات كثيرات ؟

فاومات ام ليوكا برأسها وقالت :

— نعم .. كثيرات يا صديقتى .. كثيرات . وهاهى ذى ابنتك



مارياتكا .. انها عذراء جميلة ، وان الانسان ليحتاج الى سنوات
لكي يجد من هي اجمل منها .

وكانت زوجة المدرس تعرف الهدف الذي تسعى اليه ام ليوكا .
ورغم موافقتها هي على هذا الهدف ، الا انها رأت ان تمنع قليلا ،
لانها ، اولاً ، زوجة مدرس ميسور الحال ، بينما ليوكا ابن قوزاقى
من العامة ، ومتوفى ايضاً ، ولانها ، ثانياً ، لم تكن على استعداد
الافتراق عن ابنتها بسرعة . ومن ثم قالت في تحفظ :

- نعم .. عندما تكبر مارياتكا سنفكر في امر زواجها .

وقالت ام ليوكا :

- لسوف ارسل اليك الخاطبة في اقرب وقت . نعم .. هذا
ما صافعله .. وعندما نجمع محصول العنب ، سوف اكون تحت
امرك . سأتى اليك ونحدث في هذا الامر مع زوجك الطيب .
فقالت ام مارياتكا في ترقق :

- وما جدوى الحديث مع زوجي . ان امر زواج مارياتكا بيدي
انا . ولكن لنترك هذا كله للوقت المناسب .

ولما رأت الزائرة امارات الحزم على وجه جارلها ، نهضت
بسرعة لتصرف وهي تقول :

- حسناً يا صديقتي .. لا تنسى هذا الموضوع ، وتكرري جينا
لقبما تحدثت به اليك .. والان ، يجيب ان اسرع بالعودة لاضرم
الفرن واعد العشاء .

وقبما هي تنصرف ، قالت لنفسها حين رأت مارياتكا في ساحة
الكوخ :

٥٦ .. هذه هي الزوجة التي اتيناها لابنى ليوكا .. انها ملكة
بها .. وقد حان وقت زواجها لتكون ربة اسرة ، وزوجة لابنى
ليوكا ..

الفصل الرابع

السيار البحر

كان رجال القرية يشغلون وقتهم بالأعمال المسكوية ، ولا سيما أعمال الحراسة في الحاضر وعند اقتراب المساء ، كان لبوكا - الخطاف - الذي دار حوله حديث المرائين ، واقفا في بوج المراقبة بمخبريزن بروكس القائم على الضفة اليمنى لنهر نريك . كان معتمدا على سياج الرح ، بمد البصر الى ما وراء النهر حيناً ، وإلى رميله الواقف في أسفل البرج حيناً آخر ، حيث كان يتبادل معه الحديث ، بين آن وآخر . وكانت الشمس قد غابت وراء القمم المتوجة بالثلوج ، وأخذت السحب تجمع في السماء وطاب الهواء بمد وفدة الحر ، وانسات من الغابات نساته رطبة منعشة ، ولكن الجو حول المخفر كان لا يزال حاراً . وارتفعت اصوات الحراس القوزاقيون وهم يتبادلون الحديث . وأخذت ترفرف في الجو كأنها اصوات عدد من الطيور البرية . وكانت ضفة النهر امام المخفر مهجورة ، ليس فيها الا نيات القاب . . اما في الضفة الاخرى فكانت النباتات تمتد صاعدة الى سفوح الجبال التي تقوم فيها قرى التتر .

وعلى البرج وقف لبوكا - الخطاف - بقمته الطويلة ووجهه الوسيم الذي ينم عن القوة والفتوة . وكان - رغم حداثة عهده بالجيش - قد أبدى من ضروب الشجاعة ما جمعه مره وفا بين

أخوانه . وثى وقفه هذه لح من بعيد نساء احدى القرى الترية
يخرجن جماعات ، فقال وكأنه لا يحدث أحدا مينا :

— ترى لماذا تخرج هؤلاء النساء هكذا جماعات .

ورد صديقه نازار الذى كان مسترخيا فى جلسته تحت
البرج ا

— من أجل الحصول على الماء من النهر .

لضحك ليوكا وقال ا

— ما رايك لو افترمتن برصاصة من بندقتى .

— ان بندقتك لا تصل الى هذا المدى .

فقال ليوكا وهو يذب عنه الزناير المعلقة حوله ا

— اهلا رايك ا ان بندقتى تجاوز هذا المدى .

ثم اردف بعد برهة صمت ا

— عندما يحتفلون بعيدهم الكبير : سوف اذهب الى صديقى
جيري خان ، احدا اعيانهم واشرب معه رجاجة من جمهم .

وسمع الصديقان حفيعا فى النباتات القريبة منهما . ثم ما لبث
ليوكا ان رأى كلب صيد مرقط يسرع نحوهما وقد ادنى انفه من
الأرض ، فعلم فورا انه كلب الصياد المحوز ابروشكا . وما هى
لحظة حتى برز الصياد نفسه من ادغال الغاب فى طريقه الى
المخفر .

وكان الصياد ابروشكا قوزانيا ضخ الحسم ، غزير اللحية
اهبطها عريض الكتفين ، طويل القامة . وكان يرتدى سترة ريفية
مسرنة ، مشدودة بحزام عند الوسط ، ويضع على راسه قلنسوة
من الجلد ، وينتمل حذاء من جلد الفزال مشدودا الى ساقية
بالاربطة . وعلى كتفه كان يحمل شبكة بختفى وراءها عندما يذهب
لصيد البط البرى ، وحقبة فيها دجاجة صغيرة لاغراء البوازى .

وعلى الكتف الأخرى كان يحمل قطة بريّة ضخمة صاها في يومه
ذاك . أما حزامه الجلدى المربض فكان مليئاً بالجيوب التى
تحتوى على الرصاص والبارود ومذبة لطرده الهوام وخنجر فى غمد
عليه بقايا دماء قديمة . وكان يحمل فى إحدى يديه بندقيته ، وفى
الأخرى بطتين بريتين .

ولما رأى المخفر ، توقف وصاح قائلاً لكلبه بصوت جهورى
رنان :

— مهلا يا ليام .

ثم رفع قبعته الى كتفه وقال لحراس المخفر بنقّس الصوت
الجهورى الرنان وكأنه يتحدث الى اشخاص فى الجانب الآخر من
النهر :

— ظاب ليلكم ايها الابناء .

وارتفعت الاصوات من كل جانب فى مرح :

— ظاب ليلك ايها الصياد ابروشكا .

وقال الصياد وهو يمسح بكم سترته العرق عن وجهه المريض :

— ماذا وراءكم من انباء ايها البواسل ؟

وقمّر نازار بعينه وقال :

— يوجد فى مكان قريب « بازي » شديد اليأس فى حاجة الى
صياد بارع يقضى عليه .

فقال المجوّز :

— كفى كذباً يا نازار .

— انتظر وسوف ترى بنفسك .

وضحك الحراس القوزاق الآخرون . وكان من عادتهم
يستخروا من الصياد المجوّز كلما راوه . وقال ليوكا فى لهجه
استغاثية :

— ان نازار يا ايروشكا بكذب كمادة الحراس —

وصمت نازار ، وقال الصياد ايروشكا :

— اذا كان هناك ما يحتاج الى المرافقة ، فسوف ابقى بينكم —
لكن .. الم تروا خنازير برية فى هذا المكان ؟

وهنا قال الجاويش وهو يحك ظهره بكثا يديه :

— خنازير برية يا ايروشكا ؟ ماذا تعنى ؟ اننا هنا نراقب النثر
عبر النهر ..

وكانت الانباء قد توارت بان عصابة من النثر تنوى الهجوم فى
تلك الليلة على القرية القوزاقية ، ومن ثم اودف الجاويش قائلا :
— الم تسمع شيئا عن نوايا هؤلاء النثر يا ايروشكا ؟

— لا .. لم اسمع شيئا .. الدبكم بعض الخمر ، اننى فى حاجة
الى كاس ، لانى متعب ولسوف اهدبكم ذات يوم بعض البط البرى
.. هلم يا ابنائى .. قدموا الى كاسنا من خمرنا الحلوة .

فقال الجاويش وكأنه لم يسمع ما قال الصياد :

— ان فانت ذاهب للصيد الليلة ؟

— نعم .. اننى افكر فى قضاء الليلة هنا .. وربما استظففت
ان اصيد شيئا بنفصى فى الاجازة . فاذا خالفنى الحظ ، سوف
'عطيك نصيبكم .. والله يشهد على .

وقال ليوكا بصوت لفت اليه جميع الحراس :

— اسمع يا ايروشكا . اذا سرت الى اعلى النهر ، فسوف تجد
قطبما من الخنازير البرية صدقنى . لقد صاد احد زملائنا خنزيرا
هنا اول امس . اننى لا اكذب عليك .

وكانت نبرات ليوكا تنم على انه لا يعزح . ومن ثم قال الصياد
المجبرا :

— آه .. ان ليوكا بينكم كما ارى .. ليوكا الخطاف .. أين
رأيت هذه الخزائير البرية يا ليوكا ؟

فقال ليوكا وهو بهم بالهبوط من اليرج :

— لسوف آتى معك لاطلمك على المكان الذى قتلنا فيه الخزيرين
البرى أول امس .. وقد حان وقت تغيير الحراس الليلة .

وفيما كان ليوكا يمشى الى الصياد العجوز ، هتف به
الجايوشى قائلا :

— عد الى مكانك يا ليوكا .

فقال ليوكا للجايوشى الذى كان يسمى جوركى :

— ان نوبتك للحراسة يا جوركى قد حانت ..

ثم التفت الى الصياد واردف قائلا :

— هلم الى الصيد يا ايروشكا .



ولما عاد ليوكا وايروشكا من رحلتهما القصيرة ، كان الليل قد
أوغل . وكان الجنود القوزاق قد فرغوا من نوبة حراستهم للمخفر .
فاجتمعوا فى حلقة ليتناولوا وجبة العشاء .. وفى خلال هذا كان
الصياد العجوز ايروشكا جالسا تحت شجرة يترقب ظهور البازى
بعد أن وضع له الدجاجة فى مكان ظاهر ليفريه بها . اما ليوكا ؟
فقد ذهب الى ضفة النهر ، وراح ينصب الفخاخ بين النباتات
الفابية ليصيد بها البط البرى ..

وسمع ليوكا صوت صديقه نازار ، فى دغل قريب ، يقول له :

— ليوكا .. يبدو أن الجميع ذهبوا لتناول العشاء .

ثم برز نازار من الدغل حاملا فى يده بطة برية ، فقال له ليوكا :

— أوه .. من أين أتيت بهذه البطة يا نازار .. لاشك انها
وقعت فى احد فخاخى .

وكان نازار - مثل ليوكا - لى نحو الرابعة والعشرين من العمر . ولكنه كان صغير الجسم ، حاد الصوت ، وكان صديقا وجارا لليوكا . وقد رد قائلا :

- انى لا امر ف على وجه اليقين . .

- لقد كانت هناك ، فى الحفرة تحت شجرة الحور . . لقد وضعت فخاخى بها فى الليلة الماضية . انها بطى لاشك فى هذا . وكان ليوكا جالسا متربعا ، كالنسر . يضع فخا جديدا بين الاعشاب . ولما فرغ ، تناول البطة البرية من نازار وراح بتحس عتقا فى ابتهاج ويقول :

- سوف نجعل منها وجبة مساء فاخرة . خذها واذهبها وانزع ريشها .

- هل ستاكلها بمفردنا ام نهدىها للجاويش ؟

- لقد اكل الجاويش الآن حتى شبع .

- اننى لاحب ذبح الطيور .

- حسنا . . سأذهبها انا .

ولما فرغ من ذبحها ، القى بها الى نازار وقال :

- هلم اصنع لنا منها وجبة شهية .

فتناول نازار البطة بيد مرتعدة وقال :

- اسمع يا ليوكا . . ان هذا الجاويش اللعين سوف يرسلنا للحراسة على صفة النهر الليلة انها بوية بوشكين . ولكنه ارسله لىانى البه بارىق حمر . . الى منى يرغما على ان نوب فى الحراسة من غيرنا .

فقال ليوكا متجاهلا حديثه :

- امك هذا الطرف من الشبكة يا نازار .

واطاع نازار الامر ، ولكنه استطرد يقول :

- سوف اخبره اننا متميمان الليلة . . او اخبره انت ، انه

يفقد دائما رغبتك سواء كنت على خطأ او على صواب .

فقال ليوكا بصوت حاد :

- ولماذا نهتم بالأمر ؟ لو كنا في القرية لستمتع بوقت سعيدة
مع النساء ، لكن الأمر مختلفا أما ونحن هنا ، فما الفرق بين
وجودنا داخل المخفر أو خروجنا للحراسة على ضفة النهر ؟

- هل تفكر يا ليوكا في الذهاب الى القرية ؟

- نعم .. في الاجازة .

- ان بوركا يقول ان صاحبك دانايبا تخونك مع نومشكين .

فكثر ليوكا عن امثاله وقال :

- حسنا .. لنذهب هي وهو الى الشيطان .

فعاد نازار يقول :

- لقد ذهب بوركا الى بيتها ذات مساء . وكان زوجها قاليا .
وهذا وجد نومشكين معها باكل العطير . وبعد ان جلس بوركا برهة
معهما ، انصرف . وفيما هو يمر تحت نافذتها سمعها تقول
لنومشكين : حسنا لقد انصرف هذا الزائر الثقيل .. ما رايت في
ان تقصى اللبلة معي ولا تذهب الى المخفر ؟ وعندئذ قال بوركا لها
بصوت مسموع : هذا افضل فليما .

فقال ليوكا :

- انك تكذب يا نازار .

- اقسم لك انها الحقيقة .

- حسنا .. اذا كانت قد وجدت حبيبا آخر ، فلنذهب الى
الجحيم ، ان القرية مليئة بالمداري الجميلات . وانا قد صفت لروما
بدانايبا على كل حال .

فابتسم نازار وقال :

- انك شاب محبوب من المداري يا ليوكا .. لماذا لا تتأكد
الحب مع ابنة المدرس .. ماربانكا .. انها ليست على علاقة مع
أحد من القرية .

فقطب ليوكا جبينه وقال :

- ولماذا ماريانكا بالذات . ان كل النساء سواء .

- حسنا . . جوب حفظك معها .

- سوف احاول . ولكنني مصر على ان القرية مليئة بالعذارى الجميلات .

ثم نهض وسار في طريقه وهو يصفر بشفتيه الى المخفر .
وكان الحراس قد فرغوا من تناول العشاء وراحوا يتناقشون فيما بينهم
ينبغي ان يقوم بنوبة الحراسة على ضفة النهر بدلا من قومشكين .
ولما وصل نازار وليوكا ، هتف الجاويش قائلا :

- آه . . هاهو ذا ليوكا . . يمكنه ان يقوم بالحراسة بدلا من
القومشكين اللثة . . ولياخذ معه نازار . . وكذلك يمكن ان يصحبهما
المعجوز ابرجوشوف . . لقد نال نصيبه من النوم الليلة .
وقال نازار بصوت خافت

- وانت ايها الجاويش . . الم تتم طول الليل ؟
وضحك زملاؤه الذين سمعوه .

وفي تلك اللحظة تقدم المعجوز ابرجوشوف متعثرا الى الغرفة ،
فقال له الجاويش :

- استعد يا ابرجوشوف للحراسة على ضفة النهر مع نازار
وليوكا .

وكان ليوكا قد استعد ووضع بندقيته على كتفه ، اما الجاويش
فقد صاح بلهجة امرأة :

- هلم يا اولاد . . اسرعوا بتنفيذ الاوامر .

وقبل ان يرد احد اردف قائلا حشية الا نطاع اوامره !

- لولا ان الضابط سيحضر الليلة للتفتيش ، لما ارسلت احدا
للحراسة . ولكن . . لا . . لقد توارث الانباء بان ثمانية من النهر
سوف يتسللون الليلة الى هذه الضفة للاغارة على القرية . . يجب
ان نكون مستعدين لهم .

وقال المعجوز ابرجوشوف لزميله :

- حسنا .. يجب ان نبدأ الحراسة فورا . ان الاوامر اوامرنا
ولا يسمنا الا الطاعة . هلم .

وفي تلك اللحظة ، سمع الجميع صوت الصياد ابروشكا وهو
يصيح

- مهلا يا اولاد .. لسوف اذهب معكم .. انتم للحراسة ،
وانا لصيد الخنزير البري .

الفصل الخامس

صرع الترى

كان الظلام كثيفا عندما سار الصياد المجوز ابروشكا والقوراقبون الثلاثة بعباءاتهم اوبريه وينادفهم على اكتافهم ، فى الطريق الى ضفة نهر تيريك ليكنوا فى المكان الذى يرقبون منه عصاة التتر المعيرة . وكان نازار كارها هذه المهمة ، ولكن ليوكا ظل يحثه حتى اسرعوا الى بقعة على النهر تحيط بها من ثلاثة جوانب نباتات القاب العالية ، وهنا قال نازار :

- ما اريكم فى هذا المكان ؟ .

فقال له ليوكا :

- لا داس .. يمكنك ان تبقى هنا ربما امضى بابروشكا الى المكان الذى تحنى به الحنارير البرية .

وقال ابرجوشوف :

- ان هذا المكان مناسب جدا .. اننا نستطيع منه ان نرى دون ان يرانا احد .. ولهذا يجب ان نكن فيه .

وبسط نازار وابرجوشوف عبائتهما على العشب ، ورفقا عليهما اما ليوكا فقد مضى مع الصياد ابروشكا الى ضفة النهر وهى يقول هاما :

- ان المكان الذى ابتغيه ليس بعيدا .. لسوف امضى لك اليه ،
وقد رابت فيه ذات يوم بعض آثار الخنازير البرية حين جاءت
لشرب .

ورد الصياد هاما :

- انك فتى واسع الحيلة ايها الخطاف .

وبعد مسافة يسيرة ، توقف ليوكا ، ونظر الى الارض ، ثم صقرو
بصوت خافت وقال :

- انها تانى الى هذا المكان لشرب .. انرى هذه الانان
الحديثة لحوامرها يا ايروشكا !
وقال الصياد فى اسهاج :

- يارك الله فيك يا ليوكا .. لا شك ان احد الخنازير
برية فى مكان قريب من صفة النهر .. لسوف ابقى هنا لارقيه
وعد انت الى زميلك .

وتدثر ليوكا بعباءه جيدا ، وسار عائدا بمعمره الى حيث ترك
زميله .

وقال لنفسه فى اناء السر :

« من يدري .. فلعل بعض رجال النثر يرقبوننى الان ، او
لعلهم محتشون فى مكان ما على هذه الضفة .

ونبه من افكره على طنين مفاجىء فى الماء ، واذا بخنزير
برى كبير ينطلق هاربا فوق صفة النهر ليحتفى بين نبات الغاب .
واسرع ليوكا مسوبا بندقيته ، ولكن الخنزير البرى اختفى بين الغاب
قبل ان يطلق عليه ليوكا الرصاص . وبسق الشاب على الارض فى
ضيق واستنكار ثم استأنف السير ، حتى اذا اقترب من المكن
ارسل صغيرا حافئا ردا عليه احد زميله .

وكان نازار قد رقد على عباءه واستغرق فى النوم . اما
ايروجوشوف الذى كان متربعا لى جلسته ، فقد تزحزح قليلا
ليفسح مكانا لليوكا بجواره . ثم قال له :

- ان هذا المكان مناسب جدا ، وانا مستريح ليه .. هل ذهبت
بأبروشكا الى مكان الخنازير البرية ؟

- نعم .. وقد هربت منى أحدها أثناء عودى .. ولاشك أنه
نفس الخنزير البرى الذى رايته اول امس . ولعلك سمعت طنبس
الماء وهو يهرب !

- نعم .. وقد عرفت فورا السبب ، وقلت لنفسى « ان ليوكا
قد فاجأ خنزيرا برياً » .

ثم تدثر فى عباءته واردف قائلا :

- لسوف انام قليلا .. عليك ان توقظنا عندما يصبح
الدبك . وبممكنك بعدها ان تنام لنقوم نحن بالحراسه . ام لعلك تريد
ان تنام اولاً ؟

- لا .. نعم انت .. فائى اشعر بالرغبة فى السهر الآن ..
وكانت ليلة حارة كثيفة الظلام ليس فيها نسمة هواء . وكانت
النجوم تلمع فى الأفق البعيد فى جانب من السماء .. اما الجانب
الأخر الأكبر .. فكان محجوبا بسحب داكنة زادت من ظلمة
الليل .

وظل ليوكا ساهرا متحفرا بضع اصمعه على زناد الندفنة كلما
لمح شيئا يتحرك وسمع حركة خفيفة .. ومرت الساعات بطئاً ،
وبدا الجو يبرد والهواء يمتلىء رطوبة .. وتحركت السحب بعيداً
من وجه السماء ، كاشفة من قمر صغير فى هزيمه الآخر .. وكان
تقوده الشاحب المرتعش يتساب فى هدوه على صفحة الماء وعلى
قسفتى النهر .. ومن الأفق الشرقى البعيد بدأت طلائع العجرتسلل
فى بظء شديد .. وفتح نازار عينه وتمتم بكلمات غامضة ثم عاد
واستغرق فى النوم . وشعر ليوكا بمزيد من الضجر . فنهض واخرج
لتخجره من القمد وراح يشلب عود غاب لبضع منه عصا .. وكانت
أفكاره تحوم حول عصابات النتر المفجرة .. لقد امتد رجال هذه
المصابات ان يقيموا - فى جروة عجبية - على قرى القوزاق دون
خيالة بما ينالهم من قتل ومطاردة عنيفة . ومن بدرى .. فلمل

احدهم الآن يعبر النهر فى مكان آخر .. وان ليوكا لبعده بصره الحاد هنا وهناك .. ولكنه لم ير شيئا وارادت افكاره الى القرية .. الى حبيته دايايكا .. ثم خامره احساس بالمرارة والغضب .. وازدادت طلائع الفجر القصبة اقترابا . وانتشرت على صفحة الماء تباشير الصباح الباكر .. وطارت هنا وهناك من اعالي الشجر بعض افراخ النور .. وصاح احد الديكة مؤذنا بظهور يوم جديد وبعده ذلك آخر .. لم ثالث ..

وقال ليوكا لنفسه : لقد آن ان اوقف زميلي .

وكان قد فرغ من تشذيب عود الغاب ، وشعر ياجفانه تثقل ، واستدار ليوقف زميله ، وعندئذ سمع - او حيل اليه انه سمع - طشينا فى الماء .. واستدار مرة اخرى بسرعة وامن النظر الى الاق البعيد عبر النهر . وراء التلال .. هناك حيث كان الصباح يرحف وراء الثمانه الباقية من القمر . وراى الشاطئ الآخر من النهر : وجدع شجرة بطعو على سطح الماء وحبل اليه برهة انه هو الذى ينحرك ، على حين ثبت جدع الشجرة وماء النهر فى مكانهما . ولكنه ركر بظرائنه على الجدع الاسود الذى كان يمتد منه غصن صغير : لقد بدا له ان الجدع بطعو بطريقة غير طبيعية .. انه ينحرك نحو الشاطئ الذى يقف فيه ليوكا بدلا من ان يمضى مع تيار النهر . ومد عنقه وراح يرفب بامعان شديد . وفجأة خيل اليه انه راى ذراع رجل يبدو تحت الجدع ، ومن ثم همس لنفسه « هذه فرصة سانحة اقتل فيها مفردى تنريا من رجال العصابات » واعدبندقيته وصوبها ووسع اصبعه على الزناد ، قال لنفسه « انتى لن اوقفهما ولكن قلبه كان يحقق بشدة وهو يرى الجدع يقترب خفيفا وكان افعى توشك ان تنقض عليه ولعل ليوكا جهده ليمتلك زمام اعصابه انه اذا نجح فى قتل تنرى دون مساعدة من احد فسوف يفقد بطلا فى انظار اهل القرية جميعا .. ومن يدري .. فربما منع وساما ومكافأة وترقية . ولعل شعبيه وركز انظاره .. وراى من وراء الجدع راسا ، انه راس تنرى فعلا .. حسنا .. عندما يرفعه مرة اخرى فسوف يطلق ليوكا عليه النار .. وحانت الفرصة .. »

وتتم لبوكا عبارات انهال ، واطلق النار ، واختفى الراس بقوة
تحت الجلد .. وصاح ابرجوشوف وهو ينتصب جالسا :

- امسك به .. امسك به فل ان يفر الى الغابة .

وقال لبوكا بحدة :

- تنبه يا ابرجوشوف .. انه ليس خنزيرا برياً ، وانما تنرى
من رجال المخابرات .

وقال مارار الذي 'يقظه دوى' لطلق النارى :

- ماذا تقول ؟ ماذا نقول ؟

- اقول اننى قتلت تنربا كان بنوى التسلل البنا عبر النهر .

ولمرك نازار عينييه وعاد يردد كالبيغاء :

- قتلت تنربا ؟ قتلت تنربا ؟

ولم يجب لبوكا ، وانما اعاد حسم بندقته ، وراح يرقب الجلد
والدراع المعلقة به والراس الذى كان يطمس ويعوض فى المساء .

وعاد نازار يقول فى ذهول :

- هل قتلت تنربا حقاً ؟ وبمفردك ؟

- نعم ؟

- محال .. محال .. لاشك ان بندقتك انطلقت من تلقاء
نفسها .

- قلت لك اننى قتلت تنربا .. اطلقت الرصاص على راسه

وهو يتسلل سابحا الينا .. انظر الى هذا الجلد الطافى .

وفرك ابرجوشوف عينييه وقال :

- كفى سخريه منا .. ان مانقوله مستحيل .. اين هذا النترج

المزعوم :

ولما نظر الى حيث اشار لبوكا .. شعقم نازار قائلاً فى خوله

- ويحنا .. لاشك ان زملاءه سيفرون علينا الان .

لهم اختبار بندقينه ..



واردت قائلاً !

- ان هذا النهرى كان يقوم بعمله استكشاف ولا ريب ...
ولعل زملاءه قد عبروا النهر فى مكان آخر .
وفك ليوكا حزامه وبدأ يخلع سترته .
وهنا قال له ابرجوشوف :

- ماذا تفعل ابها الاحمق المتهور .. انك اذا خرجت من هذا
المكان فسوف تنمرق برصاص زملاء هذا النهرى القنبل .. اسرع
بانازار الى المحضر وكن حريصاً وابعد عن صفة النهر بعدو
الامكان ..

لقال نازار غاضباً :

- تريد منى الذهاب بمفردى ؟ لماذا لا تذهب انت ؟
وكان ليوكا قد خلع سترته وسار نحو حانة الماء . ولكن
ابرجوشوف صاح به قائلاً :

- لا تتقدم باليوكا .. كن على حذر . ان الجنة توقفت فى مكان
ضحل من الشاطئ .. انتظر حتى يأتى بعض حراس المخفر ...
اسرع بالذهاب بانازار ، مم تخاف ؟ .. ليس هناك ما يدعو الى
الخوف ، اننى اؤكد لك .
وقال نازار :

- ليوكا .. اسرع الآن .. اخبرنا كيف حدث هذا ؟
وكان ليوكا قد غير رايه فى تلك اللحظة ، فلم يمش الى حافة
الماء .. واتما استدار عائداً وهو يقول لزمليته :

- اسرعا معا الى المخفر . وسوف ابقى هنا للحراسة ، واخبرنا
حراس المخفر ليرسلوا رجالاً على منون الجياد حتى يمكننا اللحاق
ببقاى المراد العصاية اذا كانوا قد عبروا النهر .
دولب ابرجوشوف واقفاً وقال بسرعة :

- هذا ما قلته .. انهم الآن على هذه الضفة ويجب ان نلحق
بهم قبل ان يغيروا على القرية .. هلم تسرع الى المخفر .

ثم أردف قائلا وهو بهم بالاسراع مع نازار الى الخفى هجر
الغابات التى تفصل النهر عن مراكز الحراسة !

- خذ حذرک يا ليوكا والا فاجاك رجال العصاة وذبحوك !
فقال ليوكا وهو يختبر بندقيته :

- اذهبوا وانا ساعرف كيف احافظ على نفسى .

وجلس فى الكمن يرهف السمع والبصر . وبدأ القلق يساوره
بحين فاس فى خباله المسافة التى تفصل النهر عن المخفر . كان
يخشى ان يهرب رجال العصاة قبل ان تصل النجدة من المخفر .
وكان يعد بندقيته للانطلاق فورا حين يلمح واحدا منهم على الضفة
القريبة او البعيدة . . ولكن شيئا واحدا لم يكن يشغل باله
وهو التفكير - مجرد التفكير . . فى انه قد يصاب فى مقتل !

وازداد ضوء الفجر . . وبدأت جثة الثرى تبدو بوضوح وهى
تأرجح على سطح الماء الضحل . . ونجاة سمع حفيفا وراة ، وراى
وؤوس اعراد الغاب الريشية تتحرك ، فشرع بندقيته وصوبها .
ولكنه سمع صوت الصياد العجوز ابروشكا وهو يهتف به
قائلا :

- لا تطلق النار على عمك يا ليوكا .

وقال ليوكا وهو يرى ابروشكا يبرؤ من بين امواد الغاب !

- لقد كدت اقتلك بحق السماء .

- وماذا فعلت فى اثناء غيبتى . . هل صدت شيئا .

ووقف ليوكا متحذرا ، مختالا ، يقول :

- نعم . . صدت حيوانا بريا خطيرا .

وكان الصياد العجوز يحمل فى الجثة الطائفة فى الماء
الضحل ، على حين استطرد ليوكا يقول :

- كان يسبح وراء جلع شجرة . . ولمحته . . انظر . . ميراويل
تراقب ، وبندقية كما يبدو الا تراه !

وقال الصياد المجور بصوت حازم حزين النبرات :

- اننى اراه طبعاً .. لقد قتلت شجاعاً .

- نعم .. لاننى لو لم اقتله لقتلنى .. ان نازار وابرجوشوف

اقتى طريقهما الآن الى المخفر لاحضار بعض زملائنا .. فمن المحتمل
ان يكون رجال العصابة فى طريقهم للاغارة على القرية الآن .

وفى تلك اللحظة سمع الانان اصوات رجال راكبين من المخفر
وهم يسرعون نحوهما .. وقال ليوكا هاتفا :

- هل احضرت الطوق معكم ..

وقال احد رجال المخفر حين وصلوا الى المكان :

- انك قتى بارع يا ليوكا .. احضره الى الشاطئ .

وبدا ليوكا يخلع ملابسه دون انتظار لاعداد الطوق ، ودون ان
يكف لحظة واحدة عن النظر الى ضحيته .

وصاح الجاوبشى محذرا :

- انتظر الطوق يا ليوكا .. ان نازار آت به .

وقال اخن :

- لعله لا يزال حيا يا ليوكا .. خذ حذرك منه .

وقال ليوكا وهو يقفز الى الماء .

- اننى لست طفلاً .

وسرعان ما راح يضرب الماء بذرأبيه قى قوة ؟ حتى اذا وصل

الى مكان الجنة فى الماء الضحل ، راح يهرها وهو يهتف قائلاً :

- انه ميت تماماً .. لقد اصيبته قى راسه .

وكان الثرى القليل مرديا سراويل زرقاء وكمبىها ومسترية :

وكان قد ربط فى اعلى جذع الشجرة ، بندقيته وخنجره .

ولما عاد ليوكا بالجنة الى الشاطئ ، التف زملاؤه حولها ..

وقال احدهم :

- لقد احسنت يا ليوكا .. مآبرمك .

وقال آخر ا

— ما اشد امتناع وجهه .

وقال ثالث :

— لاشك ان هذا النثرى كان يحاول استكشاف المنطقة قبل
اغارة زملائه عليها ..

وقال الاول :

— وهذا يعنى انه كان يتمنع بشجاعة فائقة .

— انظروا الى راسه الحليق ولحيته المصبوغة بالحناء ..

— وانظروا الى سترته .. انها جديدة .

وقال الجاويش وهو يعلب بين يديه ببندقية وحجر النثرى
القبيل :

— اسمع يا ليوكا .. يمكنك ان تحفظ بالخنجر والسترة ..
وصوف انتدك ثلاث روبلات فضية نمنا للبندقية .. اننى اريد
الاحتفاظ بها تذكارا .

وصمت ليوكا .. وكان وجهه ينم على ان هذا العرض
لايرضيه ، الا انه لم يستطع ان يعترض ولكنه راي ان يستفيد من
الموقف ..

فقال الجاويش :

— حسنا .. وارجو بهذه المناسبة ان تأذن لم بالعدة الى بيتي
للمدة يوم او يومين .

فقال الجاويش وهو لا يزال يقلب البندقية بين يديه :

— طبعاً .. طبعاً .. يمكنك ان تدهيب ..

ثم اردف قائلاً لبعض رجاله :

— احملوا هذه الجثة الى الفناء الخلفى للمخفر ، وضعوا فوقها
بعض الاغطية لحمايتها من الشمس . فلاشك ان اهله سيأتون لدفع
الفدية واستردادها ،

وقال احد الحراس ا

- ان حرارة الشمس لم تشتد بعد *

وقال آخر :

- وكيف يكون الحال لو تسلل ثعلب ونهشها ؟ .

ورد الجاويش قائلا :

- اذن يجب ان يقوم احدكم على حراستها . اتهم سياتون لدفع

الفدية ، ومن الافضل ان يستلموها سليمة .

ثم اردف قائلا ليوكا فى مزح :

- عندما نظفر بالعدنة باليوكا ، عليك ان تسمى زملائك فى المخفر

دنا كاملا من الفودكا .. مارايك ؟ .

وقال كثير من الحراس :

- نعم .. هذا هو التقليد المتبع .. ما اسعد حظك يا ليوكا

الا قتلت تنريا بمفردك وانت فى هذه السن ! .

وقال ليوكا :

- من ذا يشتري الخنجر ؟ ارجو ان بدفع المشتري ثمنا معقولا

له وللسراويل ايضا .

واشترى احد الحراس السراويل بثلاث روبلاب . واشترى

آخر الخنجر ثمن دين من الفودكا .

وقال ليوكا :

- الان استطع ان اشترى لكم من القرية دنا كاملا من الفودكا .

وقال الجاويش بلهجة امرأة :

- هلم احملوا الجثة الى فناء المخفر .

ولما تردد الحراس فى اطاعة الامر ، صاح ليوكا :

- ماذا تنتظرون ايها الاخوان ؟ احملوها ..

وعندئذ تقدم الحراس ، مرغمين ، لاطاعة الامر ، وكان ليوكا

هو رئيسهم المباشر *

وقال نازار وهو يفحص راس الثور القليل

- لقد اصيبته فى جانيب الراس ، ولكن الوجه سليم . . .
أهله لن يجدوا مشقة فى التعرف عليه .

ولم يقل أحد شيئا ، وإنما لهم الصمت على الجميع وهم فى
طريق العودة الى المخفر حاملين جثة الثور .

وارتفعت الشمس لليلة . . وظل الهواء منعشا فى تلك الفترة
من الصباح . . وكان الندى لا يزال يلمع على الاعشاب والنباتات
ولكن الحراس كلوا يسرون فى صمت حتى قطعهم ليوكا وهو ينظر
بالعجب الى جسم الثور .

- لقد كان هو ايضا رجلا شجاعا .

ورد عليه احد زملائه قائلا :

- نعم . . ولو كان هو الذى لحك اولاً لما أمكنك ان تسمي
بيتنا الآن .

ومرة اخرى نجح الصمت على المركب . وما هو كثر نصف ساعة
حتى وصلوا الى المخفر حيث وضعوا الجثة فى الفناء الخلفى
وحصروها ببعض الاغطية ، وخصصوا لها حارسا .

وانطلق ليوكا وصديقه نازار فى الطريق الى القرية ميرالفايت
التي تقوم بينها وبين المخفر .

وقال ليوكا بصوت اجش :

- سأجعل حبيبتى تعرف الآن من هو الجذير تبعا .

ولوى نازار شفتيه وقال :

- لاشك انه البطل الذى قتل ثوريا بمفرده .

- عليك ان تلاهبي الى بيتها يانازار دون ان تخبرها اننى ارسلتك
لأنك كان زوجها غائبا فبرز واخبرنى .

فلمع نازان كتفبه وقال أ

ـ وهل مشركنى معك فى شهرتك أ

ـ فليما .. فليما .. اذا لم نقض الليلة شهرة رائمة ؟ فليما
فعل أ

ولما وصلا الى القرية ، شرما بشربان الخمر حتى لعلوا الصوابية
وهكذا امضيا الليلة غائبين عن وعيهما .

الفصل السادس

أبى عن مكن

بعد يومين من الأحداث السابق ذكرها : وصل إلى قرية
تقوم على سفك العورانية كنيسان من مرفق المشاة بالجيش القوافى
وفى ميدان القرية . اجتمعت المركبات وجيادها وحاجيات الجنود
وأخذ الطهاه يحفرون أماكن لأضرام النار ويجمعون الوقود لأعداد
وجبة العشاء على حين انشغل الجاويش بدفع مربيات الجنود . وراح
عدد من هؤلاء الجنود يقيمون الدعائم لإنشاء مرابط للجياد . وعلى
جانب من الميدان ، تراكت صناديق الدخيرة ، وعلى الجانب الآخر
وضعت الأوعية الصحية الخاصة بظهور الطعام ، وتوزيعه ، وكان
يشرف على هذه العمليات كلها قائد الكتيبتين ، ومساعد الضابط ،
وصف ضابط يدعى أونيزيم فيها لوفتش .

وكان أهل القرية ينظرون إلى هذا كله فى غير رضى . ولكن
الجنود انطلقوا بعد أن تناولوا مربياتهم ، فى شوارع القرية وميادينها
غير حافلين برضاء الأهالى أو بسخطهم . وكان كل جندى أو كل
الذين معا يدخلان هذا الكوخ أو ذاك ، ويقارلان النساء ، ويسطآن
أيديهما بالمال والحلوى ، وهكذا لم يكن يخلو فناء كوخ من بعض
الجنود المصاحين العائنين على حين كانت ضحكاتهم تختلط بصباح
النساء اللاتى كن يرفضن السماح لهن بالإقامة بينهن ، أو بتقديم

ما يريد الجنود من ماء أو طعام . وكان الأطفال يختبئون هنا وهناك
ويحلقون في وجوه الجنود بنظرات يملؤها الخوف . أما الرجال
المجائر ، فقد جلسوا امام الاكواخ ينظرون الى ما يجري في حركه
وامتسلام .

واستطاع اولنين - الذي كان قد مضى عليه ثلاثة اشهر ضابطا
متفوقا بالجيش القوقازي ان يجد من بدله على احسن بيت في
القرية ، وهو بيت المدرس العسكري ، ايليا فاسيليفتش . والنا
الحشاء ماريانكا وزوج المجوز اولنيكا .

وقال فانبوشا وهو يدخل فناء البيت مع سيده اولنين ، راكبين
يجواديهما بعد مسيرة خمس ساعات متواصلة :
- ترى ماذا سيحدث لنا في هذه القرية يا اولنين ديمتري
الدرتشي ؟

ونظر اولنين في عطف الى تابعه . . لم ابتسم وقال :
- كل خير طبعاً .

وكان اولنين قد تغير الى حد كبير . . لقد بدا بعد ثلاثة اشهر
من الالتحاق بالجيش وكأنه شاب آخر . . شاب ممثلي قوة
ولتوة . . متوهج الوجه ، ملوح البشرة ، له شارب ابيض ، ولحية
صغيرة تضيء عليه مزجدا من سمات الرجولة .

وقال فانبوشا وهو ينحن لبضع الحقاتب على الأرض :

- هذا هو رايك لانك لاتعرف شيئا عن هؤلاء الناس . انهم
لا يحبوننا نحن الروسين . . وان كل غريب يفسد الى بلادهم هو
موضع الشك والارباب . . اننا لم نستطع حتى الان ان نطلع
بكلمة منهم .

وقال اولنين وهو لا يزال يتنسم :

- كان يجب ان نتحدث اولا الى شيخ القرية .

- اننى لا اعرف مكانه .

وقال اولنين وهو ينظر حوله :

- ولكن . . ماذا ينشر سخفك الان يا فانبوشا ؟

- كل شيء .. اللعنة عليهم .. ذهب صاحب البيت كما قالوا
ليصيد السمك .. وزوجته المجزأة خبيثة كاشيطان .. ولكن
الله في مونا طدها .

ودفع الشاب رأسه بين يديه وقال :

- اننى لا ادرى كيف ستمش فى هذا المكان اللعين .. انهم
امسوا من التتر .. بل ان التتر يعتبرون من اشد الناس حضارة
بالنسبة لهؤلاء الهمج .

فقال اولئين دون ان يترجل من جواده !

- اذن فانت لاتشعر هنا بالامن والراحة .

فهم فانيوشا كتفه كأنما يرى ان مثل هذا السؤال لا يحتاج الى
اجابة . وشغل نفسه بالعناية بالحواد الذي ترحل عنه سيده ، بينما
هاد اولئين يقول ببساطة :

- اذن فالتترى يعتبر رجلا متحضرا .. بالنسبة لهؤلاء الهمج

فانيوشا ..

فقال الشاب فى عناد وغضب :

- نعم برغم مخربتك منى .

- لاداعى للغضب فانيوشا .. انتظر حتى اتفاهم مع اصحابي

هنا الكوخ . لسوف يتم كل شيء على خير ، واؤكد لك اننا سنقضى
هنا اباما او شهورا سعيدة .

ولم يجب فانيوشا ، وانما هز رأسه اسفا ، وراح بشيع سيده
المتجه الى باب الكوخ بنظرات كلها الاشفاق والرثاء . وكان اولئين
يعامل فانيوشا كصديق ، وليس كتابع . ذلك انهما نشأ معا منذ
اكتافا غلامين فى الرابعة عشرة . ومن لم كان شعور كل منهما نحو
الآخر اقرب الى الصداقة منه الى شعور السيد نحو التابع
او العكس .

وصعد اولئين فى الدرجات القليلة المؤدية الى باب الكوخ الاول

- لان الفناء كان يحتوى على كوخين كبيرين - ونح الباب قليلا .
ووثبت ماريانكا التى كانت جالسة مرتدية ثوبا منزليا خفيا .
والنصقت بالجدار واخفت وجهها بكم ثوبها وراحت تنظر فى خوفه

وجزوع الى اولئين الذى شرع يتقدم الى الغرفة مترددا وهو يقول
لنفسه !

- ما أجملها ! ولكن القربة مليئة ولا شك بالمداوى الجميلات
من هذا الطراز .

وكانت المجوز اوليكا مستديرة بظهرها الى الباب تكتس
الأرضية وهي لا ترندى ابضا غير ثوب واحد من نسيج خفيف ، شأن
لساء القوزاق الثناء وجودهن داخل البيوت .

وقال اولين بصوت مهذب حين رآته السيدة العجوز ا
- طاب يومك يا اماء .. لقد جئت لاتحدث معك عن السكنى
هنا .

فاستدارت المرأة المجوز اليه بوجهها الذى كان محتفظا بلمحات
من الجمال الدابر لم قالت بصوت حاد :

- ماذا تفعل هنا ؟ هل جئت لتسخر منا ، لسوف اعلمك كيف
تسخر منا ، ولياخذك الطاعون .

وكان اولين بظهره كما قيل له - ان جنود الجيش القوزاقى
الذى ينتمى اليه هم دائما موضع الترحيب والحقارة من سكان
القرى القوزاقية ، ولهذا فوجى ، بثورة المرافة عليه واستنكارها لوجوده
فى بيئتها .. ولما حاول ان يؤكد لها انه بنوى ان يقيم فى بيئتها
بالأجر ، ابت المرأة ان تسمع اليه او تفاهم معه ، وانما صاحته
قائلة :

- ماذا تفعل هنا ؟ ومن ذا يريد ان يستقبل وباء مثلك فى بيئته ؟
انتظر حتى يعود زوجى وسوف يعرف كيف يلقي بك الى الشارع
.. انا لا نريد تقودك ، أم لملك تظن اننا لم نر نفودا من قبل ..
ليت التتر يملقونك اربا .

وقال اولين لنفسه : يبدو ان قاتبوشا على حق فى مخاونه
ولا شك ان التترى رجل متحضر اذا قورن بهذه المرأة القوزاقية
الثائرة .

ثم مضى الى خارج الكوخ وشتم العجوز اوليكا تبعه .. وفيما
هو يقترب من باب الكوخ اذا بماريانكا تنفلت بجواره ، وهي لاتزال

تري نوبها الأرجواني الرقيق ، وبدها على وجهها ثم تهبط الدرجات القليلة بسرعة ، ثم تتوقف في الشرفة المؤدية الى العشاء ، ثم تستدير وتنظر الى الشاب أولئين بعينين ضاحكتين .. ثم تسرع وتخفي وراء ركن الكوخ .

وكان لحطوانها الرشيفة . ونظراتها الضاحكة . وجسمها اللدن تحت نوبها الأرجواني الرقيق . أكبر الأثر في نفس أولئين ومن ثم عاد يقول لنفسه « ما أجمل هذه العذراء .. »

ولما وصل الى فانيوشا .. قال هذا له وهو لا يزال منسجولا بالحفائب :

- ترى أ ان العنة تشبه العرال البري .

- ثم أرسل ضحكة وأردف قائلا ،

- بل هي أشبه ما تكون بالفرس التي لم يروضها أحد ! .

وفي ساعة متأخرة من اصل اليوم نفسه . عاد رب البيت من رحلة صيد السمك فلما علم ان الساكن الحديد سوى ان يدفع ايجارا لسكنائه ، هذا من ثائرة زوجته . واتفق مع فانيوشا على قيمة الأيجار .

وسرعان ما استقرت الأمور في الكوخ . لقد انتقلت الأميرة من الكوخ الامامي الى الكوخ الثاني ، الحلبي ، المخصص لعسل الشتاء ، مازكة الكوخ الصيفي لأولئين وتامعه . نظم ايجار قدره روبلات ثلاث في الشهر . وبعد ان أصاب أولئين بعض الطعام . قام لسريع وفي بواكر المساء استيقظ واغتسل وارتدى ملابسه وتناول العشاء ، وأشعل سيجارة ، وحلّس حوار النافذة . نظر الى الطريق وكان الجو قد بدا بلطف . وظلال الكوخ تتراعى عبر الشارع المفر لتصل الى أسفل الكوخ المقابل . واخذت النساء المنعشة تنهادر وخم المكون العميق على القرية بعد ان استقر الخنود في مساكنهم وكان معظم الرجال والنساء لم يعودوا بعد من الحقول والقانات . كان مسكن أولئين يقع في نهاية القرية على وحه القريب .. ومن ثم كان يسمع بين الحين والآخر طلقة نارية من بعيد ، عبر نهر

ميريك ومهول كوميسك التى عبرها فى رحلته . وكان يشمعن
بتمام الرضا بعد هذه الشهور الثلاثة التى عاشها فى هذا الجو
العسكرى . لقد استرد خلالها شبابه الذى كان يضيع فى مناهات
حياته المرفقة : واسترد مع الشباب قوته وقوته .. وتذكر فى
ابتهاج الممارك التى خاضها مع الجيش الفوقازى ، وكيف استطاع
ان يواجه الاحطار كائى جندى مدرب ناسل ، وبذلك امكنه ان يثبت
جدارته اللامعة فى الجيش الفوقازى المشهور . وحبل اليه ان ذكريات
حياته فى موسكو قد اصبحت بعيدة بعيدة : كأنها ذكريات حياة
انسان آخر لا يمت اليه سبب . لقد انتهت حياته القديمة تماما
لتبدأ حياة جديدة ليس فيها اخطاء او نزوات .. انه الآن انسان
جديد مع اناس جدد .. انه الآن يستطيع ان يبنى حياة جديدة
يفخر بها هو وايتاؤه من بعده .

ونظر الى الفلمان الذين كانوا يامبون «النحلة» فى ظلال الكوخ
ثم عاد ينظر الى غرفته الواسعة الرحبة ، وتنهى فى ارنياح ..
انه يفكر فى مدى السعادة التى سيضمربها اذا هو استقر فى هذه
القربة العوراسة الرائعة .. وار نظراته لتتند الى الجبال .. الجبال
المتوجة قمم بالثلوج .. ما اعظم الطبيعة واروعها .. ان حياته
الجديدة قد بدأت .. وانه لجد سعيد بها .

وسمع الفلمان يتشدون فجأة بأصوات جماعية ؛
انه ودع زوجته ..

وشرب كأسه الى آخرها .

ان الصياد ابروشكا ودع زوجته .

وباعها من اجل كأس من الخمر !

ورأى اولين الفلمان يسرعون نحو رجل عجوز ضخم الجسم
يقتررب فى الشارع وهم يرددون :

ان الصياد ابروشكا يباع زوجته .

وكذلك باع ختجره ..

من اجل كأس من الخمر .

وكان المجوز ابروشكا عائدا من رحلة صيد وقد حمل بندقيته
على كتفه ، وتدلّت من حزامه بضع بطات برية .. وكان يرد على
الفلمان وهو يلوح بلزاميه وينظر الى النوافذ على الجانبين ، قائلا
بصوت ينم عن الاستياء برفق تظاهره بعدم الاهتمام :

- نعم بالاولاد .. كان عادا على ان ابيع زوجتي المجوز بكاس
من الخمر .

ودهش اولئين لتصرفات الفلمان نحو الرجل المجوز ، ولكن
دهشه كانت اعظم حين راي جسم الصياد الهرقلى ومايدل عليه
من قوة وهزم ، ولم يسه الا ان يناديه قائلا :
- ها ايها الصياد .. ايها القوزاقى .. تعال هنا .

ويوقف المجوز وتطلع الى النافذة ثم قال وهو يرمع فلتسوته
من راسه الحليق :

- طاب مسأوك باصديقى المحترم .
واقترّب من النافذة واردف قائلا :

- اتهم يسخرون من رجل عجوز ، ولكن هذا لا يهم .. كهم
ليسدوا قليلا بالعبث مع رجل عجوز .
وكان صوته قويا وهو يردف قائلا :
- هل انت القائد الجديد هنا ؟

- لا اثنى ضابط متطوع فقط . ولكن من اين جئت بهذا البك
البرئ ؟

- هذه البطات الثلاث صدها فى الغابة ولم اجد
قهرها .

لم اخذ منها بظنين وقدمهما الى اولئين قائلا :

- ارجو ان تقبل هذه الهدية منى .. ويبدو انك شئت محب
الصيد .. اليس كذلك ؟

- بلى .. لقد صدنا فى احدئ الموانع الحربية اربع بطات
مفردي .

فقال الصياد بلهجة لا تخلو من التهكم :



- اربع بطات دفعة واحدة ؟ انك تحب الشراب كذلك ! ما رايك
الى خمرنا القوزاقية ؟

- ماذا تظن بى ا انتى طبعاً احب الشراب .

- آها .. انك شاب رائع كما يبدو .. لسوف اكون صديقاً
وقبلاًك .. ما رايك ؟

- اذن . ادخل .. ولسوف نشرب معا بعض خمركم القوزاقية
هذه .

- انتى ارحب بهذا .. ولكن يجب اولاً ان نفل هذه الهدية !
وكان واضحاً من سمات وجه المجوز انه احب اولئين ، وانه
ادرك سرعة ان فى مقدوره ان يطهر بين الحين والآخر بيضعة
تؤدى من الخمر بلا معال .. ولهذا اصر على ان يقدم البطئين
هدية لأولئين .

ودخل المجوز الكوخ ، وراح يتبادل الحديث مع اولئين حتى
اقل فابوشا ويقرر بر دهشة وامتناع الى هذا الزائر القريب ،
ولكن اولئين يادرو قئلاً :

- اذهب يا فانوشا واشتر لنا بعض الخمر من صاحبة البيت
واحضرها اليها هنا .
وهنا قال العبياد المحور لفابوشا :

- دعهم يقدموا لك الخمر من الدن الذى فتحوه حديثاً . ان
لديهم احسن حمر فى هذه المنطقة . ولكن لا تدفع لهم اكثر من
للاثى كوبكاً للقدح الواحد .. لان هذه المراه المحوز بسرّها جداً ان
تخدع السكان الحدد وتبيعهم الخمر بأسعار خيالية .

لم همس لأولئين قائلاً بعد انصراف فانوشا :

- ان قومى هؤلاء حمقى جداً . انهم ينظرون اليكم ابها
الروسيون على انكم لستم من بنى البشر .. انكم فى نظرهم اموا
من الشر ؟ وهم يسمونكم بالروسيين الكثرة . اما انا ، فالى انظر
اليك كخندى ناسل .. وكرجل لك زوج وجسك ومبادئ كائى
رجل آخر . الست على حق ؟ ان قومى هنا يكرهونى لاننى احب

لأننا جميعا بلا استثناء .. اننى رجل مرح . نعم .. اننى ابروشكا
للصبياد يا صديقى العزيز .
ثم ربت بقوة على كتف اولئين .

كان فانيوشا فى حالة معوية رائعة بعد ان استقرت الامور .
وبعد ان نال قسطه من الراحة ، وبعد ان جعل حلاق الكتيبة يحلق
لله ذقنه . وقد اسرع بتنفيذ اوامر سيده فاخذ زجاجتين فارغتين ،
وانطلق الى ربة البيت العجوز وقال لها بصوت رفيع ليكتسب
مودتها !

- طاب مساؤكم ايها الناس الطيبون . لقد ارسلنى سيدى
لاشتري منكم بعض النبيل الاحمر .. فهل تكرمونا ايها الناس
الطيبون !

ولم تقل المرأة العجوز شيئا . وكانت ماريانكا واقفة امام مرآة
تعضب راسها بمندبل ابيض . ونظرت الى فانيوشا دون ان تقول
شيئا ايضا .

وعاد الشاب يقول وهو «يشحل» بالنقود فى جيبه :
- لسوف ندفع لكم بخاء ايها الناس المحرمون . عاملونا
بكرم وسوف نعاملكم بكرم اكثر ..
وقالت المرأة العجوز فى النهاية :
- ما هى الكمية التى تريد ها ؟
- ملء هاتين الزجاجتين .
فقال العجوز اولتيكا لايتها !

- اذهبى واعطه ما يريد يا حبيبى .. اغلظه من الدن الذى
فتحناه اخيرا .

والنقطت ماريانكا مفاتيح المخزن ، وانصرفت يتبعها فانيوشا .
ولما مرت بجوار نافذة اولئين ، اشار هذا اليها وقال للصبياد
البروشكا !

- من هذه الشابة الحناء يا صديقى ؟
وقمرا ابروشكا بعينه ، ولكز اولئين بمرقعه ، ثم قال هامسا
وهو يظن من النافذة !

- انتظر لحظة -

لم رفع صوته وقال !

- ها مارياتكا يا حبيبتي .. الا تحبينني ؟ اننى رجل باسل !

قامت مارياتكا سيرها بعد ان الفت عليه نظرة بطيئة جعلته
يستفرد هائفا !

- بادبنى الحب وانا اجعلك اسعد فتاة فى القرية .

ثم عاد بغمز لأولئين وبوجه اليه نظرة متسائلة ويردف قائلا !

- اننى كليي .. اننى وعل .. اننى اسد ..

ونجاة حمس قائلا !

- وهى ملكة متوجة على عرش الجمال -

وقال له اولئين !

- انها لكذلك .. دعها تات البنا -

فهر ابروشكارسه وقال !

- لا .. انها مستزوج لبوكا .. وهو شاب قوزاقى باسل -

انه الشجاع الذى قتل بمفرده تنريا من رجال العصابات فى ذلك
اليوم . دعها له وصوف ابحت لك عن فتاة لا تقل جمالا عنها ، فتاة
قويدي الحرير وتزين بالفضة . وانا اذا قلت شيئا ، فاني اكون
قائما عند قولي .

فرد اولئين عليه قائلا !

- انتحدث هكذا وانت فى مثل هذه السن . انها لخطيئة

البرئ !

فقال العجوز مستنكرا !

- خطيئة كبرى ! ابن الخطيئة فى هذا ؟ هل من الخطيئة ان انتظر

الى فتاة جميلة ، او احب فتاة جميلة ، او اخرج للنزهة مع فتاة
جميلة ! من اين جئت ؟ لا يا ولدى العزيز ! انها ليست خطيئة .. انها
ههنا .. لقد خلقك الله .. والله خلق هذه الفتاة ايضا .. ان الله

هو خالق كل شيء ، ولهذا فليس من الخطيئة لى شيء ان ينظر
الإنسان الى الجمال .. الجمال الممثل فى زهرة او فى فتاة . لقد
خلقها الله جميلة لكي تعيش سعيدة ولكي تسعد الناس . هذا هو
راىى يا ولدى العزيز .

وعبرت ماريانكا الفناء ، وذهبت الى مخزن النبيل ، وتمتعت
بدعاء قصير قبل ان تبدأ بملء الزجاجتين من الدن .. ووقف
فانيوشا بالباب يرقبها وعلى شففيه ابتسامة ..

ولما فرغت من ملء الزجاجتين بالنبيد الأحمر ، سلمتهما الى
فانيوشا قائلة حين اراد ان يدفع لها الثمن :

- اعط ابنى النقود .

وقال فانيوشا حين رآها مقطبة الجبين :

- وماذا يفضيك منى يا فتاتى الحساء !

وبدأت ماريانكا تضحك وتقول :

- وماذا عنكم ابها الروسيون ؟ هل انتم اناى قلبيون ؟

وتأملها فانيوشا برهة قبل ان يرد عليها .. واخيرا ابتسم وقال
بلهجة مؤكدة :

- ابنى وسيدى من الناس الطيبين فعلا . والدليل على هذا

اننا نتمتع بحب الناس لنا بحشما أقمنا .. ان سيدى من طبقة
النبلاء فى موسكو .

وانصت الفتاة باهتمام ، ثم قالت :

- وهل هو متزوج .. سيدك هذا ؟

وفهم فانيوشا بعينه وقال :

- لا .. سيدى لم يتزوج بعد .. ان شبان الطبقة التى ينتمى

اليها لا يتزوجون فى مثل هذه السن المبكرة .

- يبدو لك بارع فى سرد الأقايسى الخيالية ، حنا ، وهل

هو قائد الجنود هنا ؟

- ان سيدى ضابط منطوع فى الجيش القوزاقى ، ولم يصل
بعد الى درجة الضباط العاملين ولكنه شخصية مرموقة هامة ،
اكثر هممة من قائد لواء . انه ليس معروفا من قائد فرقتنا هنا
فقط . واسم هو معروف من القبط نفسه .

قال فانيوشا هذا بلهجة كبرىاء ، ثم اورد قائلا :

- اننا لسنا من هؤلاء الجنود البائسين المرتفعين ، وانما نحن
من أسرة مرموقة . لقد كان اوالده الف عامل مسخر فى اراضيه
الواسعة . وان سيدى ليتلقى فى كل ثلاثة اشهر الف روبل من
ايراد ممتلكاته الواسعة . وهذا ما يجعلك موضع الحيب والتقدير
ابنما ذهنا .

فقاطعته مارياتكا قائلة :

- هلم مقتر . . لسوف اغلق المخزن .

وقدم فانيوشا الى جاجتين لاولتين مائلا :

- ما اجمل هذه العذراء ! .

نعم رسل ضحكة عالية وانصرف .

الفصل السابع

ليوكا ومارينا

في خلال هذه الفترة كانت القرية قد بدأت تستنقظ كالمعتاد كل يوم في مثل هذه الساعة ، من سباتها قبيل الغروب . يستغل العائدين من الحقول والغابات ، واخذت قطعان الماشية والمركبات تندفق من الواتين ، ونشر في جوها الغبار ، على حين ارتفعت اصوات الماء والغنياب وهي تشرق على ادخال الماشية الى المراعي . وكانت الشمس قد اختفت تماما وراء قمم الجبال البعيدة ، ولم يبق منها في صفحة السماء الا بقايا ناهة حمراء . وهناك بعدا ، فوق الساتين المعلقة بؤادر الماء ، بدأت بعض الانجم تلمع في خفوت وما لبث ضجيج المده من الحقول ان خف ، وهذات القرية ، وحرحت النساء والفئات الى بوابات الاكواخ يتسادلن الاحاديث ويتسلين نقر فرقة اللب ، وذلك بعد ان فرغن من حلب الانغار واعداد طعام العشاء .

وكانت احاديثهن في ذلك الماء تدور حول مصراع السرى على يد ليوكا - الخفاف - وكار حند المجائر قد راح به - عليهم كيف استطاع ليوكا بفقرده ان يقضى على التثرى الجبار .

وقالت احدي النساء :

- لاشك انه سينال مكافأة كبيرة .

- نعم .. بالتأكيد .. « ونيشان » ايضا .
- ان ذلك الجاويش موزيف حاول ان يحده فاخلط منه نندقة
التنرى رعبا عنه . ولكن الضباط فى معسكر كيزلار سمعوا بهذا
الامر .

- انه خلوق حقير ، ذلك الجاويش موزيف .
وقالت حدى الفتيات :

- انهم موبون ان ليوكا فى القرية الليلة .

- نعم .. انه يشرب الخمر مع نارار عند بامكا .
وكانت بامكا امرأة قوقازية تدبر حانة بغير ترخيص .
واردت المتحدث قائلا :

- وقد سمعت انهما شربا اربع رجاجات كاملة .
وقالت حدى النسوة :

- ان حطاف يختطف الحظ كله - والخطاف اسم على مسمى
.. الا انه من ممتاز حقا . لا شك فى هذا . حاد كالحرير .
وقلب رسخ اليد . وكان والده كذلك . انه صورة كاملة منه
.. وعنده مثل خرجت القرية كلها لتسعه .. انظروا .. هاهم
آتون لقد استطاع ابرجوشوف ان يفر من يده على الشاين .

واشارت المتحدث الى ثلاثة رجال كانوا ينفرون نحوهم . وكان
ليوكا ونازار وابرجوشوف يتقدمون نحو حطاف البنات والساء
بعد ان شرب نوبة كبيرة من الفودكا . ومن لم كانت وجوههم
مقنطرة - لسيما وجه ابرجوشوف الذى كان يترنح ويضحك
عاليا وبلكر اترار فى جانيه قائلا للبنات

- ما زلتى فى اغبة نسمعتا اباهما ! هل من يا بنات .. غنين
لكريما للبطولة
وقالت النسوة :

- انكم لستم تستمعون بوقتكم . آ اليس كذلك .
وقالت حدى ربات البيوت :

- ان النساء لا يكون الا فى الامياد .. وانتم سكارى .. غداوا
لانفسكم .

وضيح ابرجوشوف بالضحك ، ولكن نازار قائلا :
- ابدا انت بالفناء يا نازار ، وسوف اشترك معك فان لى
صوتا املدب من صوت العنديلين .
وقال نازار :

- اينها الجميلات ، مالكن صامتات هكذا . لقد حثنا من المخفر
من اجلكن . . وقد شربنا الآن تكريما ليوكا .
وكان ليوكا واقفا امام الفتيات منفرج السافين . محالا سمعه ،
ماثل الفلنسة ، يداعب خنجره المشدود الى الحزام باصابعه ،
ويوزع ابتسامته على الجميلات . فلما اقبلت ماريانكا رفيع فلتسوته
نحية لها ، فاومات براسها ترد عليه نحيته ، وجلست على المصطة
مع البنات واخرجت من صدرها كيس اللب ، وراحت تفرقه وتلعظ
القشربلا اهتمام .

وبعد ان خيم الصمت برهة ، قالت احدى النساء :

- هل جئت لتقيم مدة طويلة يا ليوكا ؟

فرد ليوكا باكتئاب :

- حتى صباح الغد .

وقال القوزاقى العجوز الذى كان بروى حادث التفرى :

- لباركك الله يا ليوكا وليزد من حقلك الحسن . اسى فخور
بك ، وقد كنت اقول هذا الآن .

وضحك ابرجوشوف وقال :

- وانا ايضا فخور به . . آه . . انظروا الى ضيولنا .

ثم اشار الى احد الجنود المارين واردف قائلا

- ان فودكا الجيش من النوع الممتاز ، وانا احبها جدا .
وهنا قالت احدى النساء :

- لقد سكن فى بيتنا ثلاثة من هؤلاء الابالسة . وقد ذهب

جدى الى شيخ القرية ليحنج ولكن الشيخ قال له انه لا يستطيع
ان يفعل شيئا .

وقالت امرأة اخرى :



— وهل الناروا المتاعب لكم ؟ —

وردت امرأة لالئة :

— يكفى أنهم يبصقون بقايا مضغة التبغ على أرضية الغرف .
أن من حقهم أن بدخنوا أو بمضفوا التبغ خارج الأكواخ . ولكن
ليس من حقهم أن بلولوا بيوتنا بهذه الأشياء القلرة .
وقالت امرأة أخرى :

— وهم لا يترددون عن سرقة أى شىء يقع فى أيديهم . لئلا
لا يستضيف شيخ القرية بعضهم . . عليه اللعنة .
وقال ابرجوشوف :

— يبدو أنك غير راضية عنهم ! .

وقال نازار وهو يقلد ليوكا فى اختياله :

— والاسوا من هذا أنهم يرغمون بناتنا الجميلات على خدمتهم
وأعداد الأسرة لهم .

وضح ابرجوشوف بالضحك وهو يعانق اقرب فتاة اليه :

— هذا حقيقى .

وصاحت الفتاة وهى تتخلص منه :

— ابها الحيوان الدميم . . دعنى والا اخبرت زوجتك العجوز .

ولكن ابرجوشوف هتف قائلا :

— اذهبى واخبريها . ولكن نازار لم يقل غير الحقيقة . لقد
أصدر قائد المعسكر تعليمات مكتوبة بذلك . وان نازار ليحسن
القراءة .

لم شرع يعانق الفتاة التالية ، الا ان هذه صاحت به :

— ابعد بديك عنى ابها الخنزير العجوز .

ورفعت الفتاة ، أوستنكا الوردبة الوجنتين ، يدها لتصفعه :

ولكن ابرجوشوف تراجع بسرمة وكاد أن يسقط وهو يقول
ضاحكا :

— ها . يقولون ان الفتاة لا قوة لها . . ولكن ها هى ذى أوستنكا

الحسنة . كاد تقتلنى .

وصاحت أوستنكا ضاحكة وهى تستدير :

- استعد ايها الخنزير الاسود، ما الذي جاء بك من المخفر ؟ اذن
لقد كنت دائما عندما حاول التبري ان يتسلل الى القرية . كان من
الممكن ان يعصى عليك . ولبته فعل !

فضحك نازار وقال :

- اذن لكنت عليه حتى تحمر عيناك ؟

- كنت سابكي عليه بقدر ما سوف ابكي عليك يوما .

فقال ارجوشوف ضاحكا :

- ارى .. انها عدواه بلا قلب . ولكنها سوف يبكي يوما .

البر كذاك يا نازار ؟

وفى حلال هذا كله : وقف ليوكا صامتا وهو يحملق النظر الى
مارياتكا التي شعرت بالحرج من تركيز نظرائه عليها . واخيرا قال
لها وهو يقترب منها :

حسنا يا مارياتكا . لقد سمعت انهم فرضوا عليكم حدة
الضباط للسكنى معكم .

وبم حجب مارياتكا فورا كماداتها وانما رفعت عينيه الى بيوكا
الذي كان ينظر اليها باسما . واخيرا قالت :

- نعم .

وقالت احدى النساء المجازرا :

- وسكن لاسرة مارياتكا كوخين .. ولا ناس من ان يقيم احد
الضباط وثامه فى كوخ منهما اما ال نولشكين ، فقد سكن معهم
احد الضباط الكبار . ويقال ان الكوخ امتلا حاجاه حتى لم يمد
لحمه مكان لافامة الاسرة . فهل سمع احد شئ كهذا ؟ ابلق ان
لتمنى : القربى بهذه القطمان المغيرة ؟ ولكن .. ماذا يمكننا ان نفعل ؟
ولماذا جاءوا ؟ هذا ما اريد ان امر به .

وردت احدى البنات قائلة :

- سمعت انهم سيقبمون جسرا فوق نهر بيريك .

وقال نازار وهو يقترب من اومشكا :

- وسمعت انهم سيحفرون حفرة كبيرة يدفنون فيها البنات
اللاتى لا يبادلن الشبان الحب .

ثم أسرع مبتعدا قبل ان تناله صفة من يد أوسنتكا ، مما جعل الجميع يخرجون بالصحك ويحاوون ابرجوشوف ماريانكا التي كان عليها الدور ، وعائق امرأة عجوزا . ومن ثم قال له يئازار :
- لماذا لم تقبل ماريانكا ؟ بحث ان تاخذهن بالدور

لصاح ابرجوشوف وهو غير حافل بمقاومة المرأة العجوز له !
- لا . . ان هذه العجوز احلى واملح .

وهتفت العجوز ضاحكة

- اهينوني . . انه سيكنم انغاسي .

واقترب ليوكا من ماريانكا وقال لها !

- واين اسكنتم الضابط ؟

فابتسمت ماريانكا وقالت بعد برهة صمتا !

- في الكوخ الجديد .

- اشاب هو ام عجوز ؟

قال ذلك وهو يجلس بجوارها . وردت هي فائئة !

- ومن اين لي ان اعرف ؟ انني لم اره جيدا . . انه الآن جالس

بشرب النبيذ مع الصياد العجوز ابروشكا . وكل ما اعرف عنه انه

احمر الشعر ، وان معه الشيء الكثير من الامتعة .

فازداد ليوكا اقترابا منها وهو لا يحول نظرائه عن همنسها لم

قال بصوت خافت

- انني سمعت بهله الاجازة الصغيرة التي ظهرت به من المحفر .

وابتسمت ماريانكا خفيفة وقالت :

- والى متى ستبقى ؟

- حتى الصباح .

ثم مديده وقال :

- امطني قليلا من اللب .

واكتمت الانشامة على شفتي ماريانكا وهو تقطع له الى كيس

اللب لثالثة

لا تاخذ الكمة كلها .

وهمس ليوكا بصوت خافت وهو يتناول بعض اللب :

- كنت اشعر بالوحشة وأنا بعيد عنك .. اقسم لك على هذا ..
ثم ازداد اقترابا منها وهمس في اذنها وهو لا يزال ينسج في
في عينها :

- هل ستأتين الى كوخى الليلة ؟
فقال بصوت مسموع وهى تتراجع عنه !
- لا .. لن آتى .. مستحيل !

فعاد يهمس قائلا :
- صدقنى .. ائنى اريد ان اخبرك بشئ .. ارجوك ان تاتى
يا ماريانكا .

وهزت ماريانكا راسها وان ظلت باسمة .

وفى تلك اللحظة سمعت ماريانكا اخاها الصغير يهتف قائلا وهو
يسرع نحو الجمع :

- اختى ماريانكا .. ان امى تريدك ، لقد حان وقت العشاء ..
فقال له ماريانكا :

- سوف آتى حالا .. اذهب انت يا حبيبى الصغير وسوف
الحق بك .

ونفض لبوكا ورقع قلنسوته قائلا :

- اعتقد انه قد آن لى ان اعود الى بيتى ابنا . لقد تأخر

الوقت .

وارسل اليها ابتسامة اخيرة ، ثم اختفى فى المنطف وكان
الظلام قد انتشر على القرية ، لا يخفف منه الا نور النجوم المتألقة
فى سماء صافية . وبينما كان نازرا باقيا مع النساء والبنات
بضاحكن وبداهن ، كان لبوكا يتسلل مسرعا ، لا الى بيته ، وانما
الى اقرب مكان من بيت ماريانكا وعلى مقربة من السياج ، جلس
وهو يقول لنفسه :

- انها تتعالى على ؟ حسنا ؟ لسوف اعرف كيف ادونها ..

ولما سمع وقع قدميها وهى تقترب ، وثب واقفا واعترض
طريقها ، فتراجعت فى فرع ، ثم اطمأنت حين بينت انه هو ،
وارسلت ضحكة عالية وقالت :

— لقد افزعنى ! اذن فانت لم تذهب الى بيتك ؟
ووضع ليوكا احدى ذراعيه حول عنق الفتاة ، ورفع باليد
الآخرى وجهها نحوه وقال بصوت مرتعد :
— هناك شيء اريد ان اخبرك به .. صدينى ..
وقاطعته ماريانكا قائلة :

— ماذا تريد ان تقول ؟ ان امى تنتظرنى .. ويحسن بك ان
تذهب الى حبيبك .

وتخلصت منه فجأة ، واسرعت نحو صياح كوخها ، ولكنه لحق
بها ، فاستدارت اليه وقالت وهى تضحك مرة اخرى :

— حسنا .. ماذا تريد ان تخبرنى ايها الخطاف .

— كفى عن السخرية بى يا ماريانكا .. ارجوك . ماذا لو ان لى
عجيبة ! لباخذها الشيطان افتحى لى قلبك وانا احبك اشد الحب ..
لسوف افعل من احبك كل شيء .. اسمعى ..

ثم شغل بعض النفود الفضية فى جيبه واردف قائلا :

— اننا نستطيع الان ان نبني لنا بيتا . وان الناصر غيرنا
يستمتعون بحياتهم .. فلماذا لا نفعل مثلهم . لماذا لا نسمدببنى
يا ماريانكا !

ووقفت ماريانكا صامتة نظرفع باصابعها . وجمع ليوكا
قبضته ، وقال بصوت حاسم :

— اتنى ضقت لمرء بالانتظار .. الى متى انتظر . ! الست احبك
وما فيه الكفاية !

ثم اردف قائلا وهو يمسك يديها بغضب واهتياج :

— انك تستطيعين ان تفعل بى ما تشائين .

ولم تفقد ماريانكا زمام اعصابها ، وانما قالت بصوت هادئ
واقف :

— لا دامى لهذه الثورة يا ليوكا .. اتصت الى ..

ودفعت به بعدا عنها قليلا وان تركت يديها بين يديه ، ثم
قالت :

- انى حها مجرد فتاة لا حول لى ولا قوة . ولكن انصت الى
.. اننى لا استطيع ان اقرر شيئا . ولكن اذا كنت تحبى حقاً
فاترك يدى .. انى استطيع ان احدث دون ان تبتك بى هكذا .
اننى على استعداد لان اتزوجك . ولكنك لن تستطيع ان تنال منى
شيئا قبل الزواج .

فقال ليوكا وقد هدأت نائوته وشاع الابتسام فى وجهه، والرقه
فى صوته :

- ماذا تعين بالزواج ! ان الزواج ليس فى ايدينا .. ولكننى
اريد ان تحبى .. اريد ان اؤكد من حبك اولا يا صغيرى ماريانكا .
فاقتربت ماريانكا منه وقالت وهى تغبله بحرارة :
- يا فتى العزيز .

ثم تخلصت منه بسرعة ، واندفعت الى بوابة كوخها دون ان
تستدير اليه ، ورغم كل محاولاته لاستبقائها برهة اخرى ، فانها
امرت على الافتراق وهى تهمس له قائلة :

- هلم ابتعد والا رآنا احد .. لعل ذلك الساكن اللعين الجديد
يتجول الآن فى الفناء .
وقال ليوكا لنفسه وهو يتراجع :

- آه يا ابنة المدرس ! انك تريدن الزواج منى ، حسناً ..
ولكن عليك اولا ان تحبى ولستوف نرى .

والتقى بنازار فى حانة بامكا . وبعد ان شرب معه قليلا ذهب
الى حبيبته دونايكا ليقضى معها الليل رغم ما سمعه عن خيانتها له .

الفصل الثامن

حرب عمر ماريا

كان الصياد العجوز ابروشكا يحب لبوكا ويرى فيه لمحات من قلبه الدابر . ومن ثم نهض من رقدته على ظهر العرن فى كوخه الصغير حين سمع صوت لبوكا نأديه من الخارج ، وامرغ يستقله قاتلا

- اه يا عزيزى لبوكا .. هل جئت لتزور صديقك العجوز ابروشكا . ادخل يا ولدى .. ادخل .

وقال له وهو يستقبله داخل الكوخ :

- هل تنوى العودة الى المخفر يا لبوكا ؟

فقال لبوكا وهو يضع امام ابروشكا زجاجة من النبيذ :

- لقد جئت اليك بالنبيذ الذى وعدتك اياه بعد مصرع النترى .

- آه .. بارك الله فيك يا ولدى .. ما اكرمك .

ثم صب لنفسه كاسا ، وللبوكا اخرى ، وقال :

- فى صحتك يا ولدى لبوكا .. ولizardك الله نجاحا وشهرة .

وشكره لبوكا .. واسرع العجوز ووضع بعض السمك المجفف

على مائدة فديعة ، وقال وهو يدعو لبوكا الى الطعام :

- اتري .. ان لدى كفايتى من الطعام دائما .. حمدا لله ..
والاين ماذا عن الجاوش موريف ؟

فلما اخبره ليوكا بامر البندقية التى اخذها منه الجاوش قال
له ابروشكا :

- دعك من هذه البندقية .. انك لو لم تعطها اياه ، ما ظفرت
بالمكافاة .

- ولكنهم يقولون انها ستكون مكافاة بسيفه لاني حديث عهد
بالخدمة ، ولم التحق بعد بكية الفرسان . اما البندقية فانها
رائعة .. ليس اياها مثل لدينا .. انها مصنوعة من الفرم ..
وتساوى ثمانية روبلات على الاقل .

فقال المجور بلهجة الرجل المحرب :

- دع الامر يقف عند هذا الحد . لقد اشتبكت فى نزاع من
هذا النوع وانا شاب مثلك . كان رئيس الضابط يريد منى انا
اهدى اليه حواذى الاصل ليرفنى الى رتبة معلم .. ولكننى
رفضت ، وهكذا ضاعت كل فرصة للترقية بعد ذلك .
فقال ليوكا وهو يومئ برأسه :

- نعم .. نعم يا صديقى المجور .. ولكن على ان اشترى
جوادا ، ونس الجواد . اذا حصلت عليه عبر النهر - لا يقل عن
خمس روبلا ، والدنى لم تبع محصولنا من النبيذ بعد .
- آها .. ان صديقك المجور ابروشكا لم يكن يهتم بهلاء
التفاهات عندما كان فى مثل سنك .. كنت اذهب واسرق قطعانا
كاملة من الحياض من حضاب بوخاى واعبر بها نهر تيريك .. وكنت
احيانا نبيع الجواد بعباءة او بزحاجتين من الفودكا .
سمل هذا السر الخس كنتم تباعون الجواد ؟

- نعم .. انك لا تزال غرا يا صديقى الصغير .. اننا كنا نسرق
الجواد حتى لا نتعلم النخل . اما انتم يا قتيان اليوم ، فلعل الواحدة
منكم لم ير لى حياته قطعا من الحياض . لماذا لا تقول شيئا ؟

- وماذا تريدنى اتقول يا ابروشكا .. اننا لسنا من جيل واحد
- انك احمق يا ليوكا .. لاشك فى ذلك ..

ثم اردف قائلا وهو يثقل ليوكا ساخرا:

- انتا لسنا من جيل واحد لا حسنا .. بل انتا فى الواقع
تختلف جدا . فانا عندما كنت فى مثل سنك ، كنت فوزاقيا محتلما .
- ماذا كنت يا ابروشكا ؟

فهر ابروشكا راسه وقال:

- كان الصياد ابروشكا رجلا اجتماعيا .. لم يكن ييخل على
أحد شيء . ولهذا كان محبوبا من الجميع ، وكان اذا جاء احد
اصدقائى لزيارتي قدمت له الفطام والشراب وجعلته ينام فى
اقراشى . واذا ذهبت لزيارته حملت هدية له . هكذا ينبغي ان تكون
الحياة ، وليس كما تفعلون الآن . ان التسلية الوحيدة لكم ايها
الفتيان هى فزقة اللب والعبث مع البسات .
فاطرق ليوكا براسه وقال :

- نعم .. هذه هى الحقيقة .

- اذا اردت ان تعيش رجلا ، فكن شجاعا . ان الرجل العادى
اذا اراد جوادا اشتراه .. اما الرجل الشجاع ، اذا اراد
جوادا فانه يظفر به من هضاب نوجاى .
وساد الصمت برهة قطعه ليوكا بقوله :

- نعم .. نعم .. ان الحياة فى المحفر مملة وكذلك فى الغربة .
وليس هنا او هناك مكان يستطيع فيه المرء ان يعرب عن شجاعته .
ان كل زملائى حاملون . اليك نازار مثلا . لقد ذهبت معه ذاك اليوم
الى قرية نترية ، واراد شيخها جبرى حان ان يصحب احدا للاغارة
على هضبة نوجاى والظفر ببعض الحباد ، ولكن نازار رفض ولم
يستطع . ذهب بمفردى .

- وماذا عني ، اننى لم انته بعد .. اعطنى جوادا وانا اغير على
هضاب نوجاى فى لمح البصر .

- ما جدوى الحديث على هذا النحو الفارغ ، يحسن ان تخبرنى
مالا شغرى . افعل مع جبرى خان ؟ لقد طلب منى ان اسرق الحباد
من هضاب نوجاى الى شاطيء تيريك وبعد ذلك يستطيع ان

يتصرف فيها ولو كانت عشرين حوادا . ولكنه رجل تترى . . لعل
استطيع ان اتق به .

- يمكنك ان تثق في جيري خان . انه رجل شريف هو وجميع
قومه . وقد كان والده صديقا حبيبا لي . ولكن منمنع الى
نصحتي ، دعه بقسم على الاخلاص لك . يمكنك ان نظنر اليه
بعد ذلك . واذا خرجت للاغارة معه ، فخذ سدسك معك ، لاسما
عندما تبدأ في تقسيم الاسلاب . لقد كدت ان افنل ذات مرة على
يد تترى عندما طالبت بعشرة روبلات من كل جواد . ان النقة
لا بأس بها ، ولكن عليك ان تجعل سدسك في متناول يدك دائما .
وصمت الصياد العجوز برهة ، ثم قال فجأة :

- ولكن نصحتي الاساسية هي عدم الذهاب الى بوجاي . .
نعم يا ليوكا ، لا تذهب الى بوجاي مهما كان السبب .
- لماذا .

- لان الظروف قد تغيرت . الا ترى كل هؤلاء الحنود
الروسين الذين يملئون المطقة ، انك اذا ذهبت للاغارة على بوجاي
فسوف تعرض نفسك للعقاب . لسوف توضع في السجن صدقني
يا ليوكا ، دعك من بوجاي وحاولها . . ان الظروف تغيرت . .
واستعد الصياد العجوز لسرد احدي اقاصيص مغامراته التي
لا حصر لها ولكن ليوكا قال وهو يرى ضوء الفجر ينسلل الى
النافذة

- لقد اسفر الصباح يا صديقي العجوز ، ويجب ان اعود الى
المخفر ، ارجو ان اراك يوما آخر .

- ليحفظك الله يا ليوكا . . وسوف اتصرف انا ايضا . لقد
وعدت الضابط اولتين بمصاحبه الى رحلة صيد اليوم . . انه
شاب لطيف .

وفيما كان ليوكا يسير في طريقه الى المخفر ، صفر الصياد
العجوز ابروشكا لكلايه ومضى الى مسكن اولتين حيث وجد الشاب

لا يزال يفظ في نومه ، وحتى قانيوشا كان راقفا في قراشه رقم
يقظته ، يلتفت حوله ، ليدرك اين هو ، قبل ان ينهض .

وفتح ابروشكا الباب وهو في كامل اهيبته للصيد وصاح قائلا :
- الى السلاح ايها الكسالى ! لقد هجم علينا التنوء . فانيوشا :
نعم ابريق الشاي على الموقد واسرع ، ما هذا النوم ، ان البنات قد
لمستيقظن .. انظر الى تلك السائرة نحو النهر لتستقي .

واستيقظ اولتى ووب راقفا من الفراش وهو بشعره
بالانعاش والبهجة على صوت ابروشكا الذى كان يستنرد قائلا :
- خطوة سريعة يا قانيوشا ، اهكدا يستعد الناس للصيد ؟ ان
الناس قد تناولوا افطارهم وانت لا تزال نائما ؟
وقال اولتى ضاحكا :

- اتنى اعترف بالذنب فلا جدوى من الانكار .. جهز البنادق
والبارود وحقيب الصيد يا قانيوشا .
وصاح ابروشكا قائلا :

- لسوف سمحك هذه المرة ، ولكن اذا تكرر هذا منك :
لسوف افرمك لمن زجاجتين من النبيذ الاحمر . ان الغزلان تهرب
الى مخابنها بمجرد ظهور الشمس .
فقال اولتى وهو يتذكر احاديث المجول في الليلة السابقة :
- وحتى الا وجدنا غزالا لسوف يكون ابرع منا والذى . انك
لن تستطيع ان تخدع الغزال في ضوء النهار .

- آه . اضحك ما شئت ، ولكن ينبغي ان تصيد واحدا منها
قبل ان تضحك . ها هو ذا صاحب البيت مقبل علينا ليرارك كما
يبدو .. انه يرتدى ملابسه الرسمية لكي يجعلك تعرف انه بريء
لتسابق .. آه .. ما اشد فرور هؤلاء الناس .

واسرع قانيوشا من الفناء بملء رصوف صاحب البيت :
وضرمان ما اقبل والد مارياتكا ان ملابسه العسكرية الرسمية :
وكان وجهه يشع على انه قوزاقى « منقف » ينحدر من اصل كريم
وكان كثر نحو الخمسين من العمر . ملوح الوجه ، قوى الصوت :
يتحدث بنفس الطريقة التى يتحدث بها الصياد ابروشكا .

واستقبله أولتين مرحبا ، والتمس منه ان يجلس ، على حين قال
أبروشكا وهو ينحنى بطريقة مضحكة
- طاب صباحك يا سيد ابليافاسيلتش .

فرد الضيف قائلا وهو يوميء برأسه في تحية عابرة :
- طاب صباحك يا أبروشكا .. لقد جئت في ساعة مبكرة على
ما يبدو .

ثم اردف قائلا لأولتين وهو يشير الى الصياد المعجوز :
- هذا هو النمرود العصري .. انه ابرع صياد في هذه البلاد
واسبق ارجال الى ركوب المحاطر .. ولا شك أنك ستبهرج
بصحبته .

ووقف أبروشكا مطرقا برأسه لا يدري ماذا يقول ازاء هذا
الاطراء ولكنه كان يفكر في هذه العبارة « النمرود العصري »
ويحاول ان يفهم دلالتها .

وقال أولتين :

- نعم .. لقد كنا على وشك الخروج للصيد معا .

- نحنا .. نحنا .. ولكنني جئت لأتحدث معك حديثا لن
يستغرق الا بضع دقائق .

- اتنى رهن اشارتك .

- الواسح أنك واحد من السادة الكبراء ، وبما أنني برتبة
تضابط بالجيش ، فمعنى هذا اننا سنعامهم على كل شيء .
لم توقف لحظة قبل ان يستطرد قائلا وهو يلقي نظرة باسمة
على الصياد المعجوز وعلى أولتين :

- ان زوجتي المعجوزة لم تحسن الاتفاق معك .. فالواقع ان
هذا الكوخ كان مؤجرا في يوم ما لاحد الضباط بسنة روبلات في
الشهر ، غير مربط الجياد .. ولما كانت زوجتي المعجوزة لا تعرف
شيئا في شئون التأجير فأنى أرى ان الاتفاق الذي تم بينكما لا
يعتبر قائما ..

- ماذا تعنى ؟

— الا اذا وافقت على ان تكون الابجار الشهري لهذا الكوخ سنة روبلات .

ووافق اولتين فوراً . . وشرب الجميع الشاي ، ثم نهض الضيف وانحنى قائلاً لأولتين قبل ان ينصرف :

— ارجو ان يتكرم بزيارتنا وتتناول شيئاً من نبيدنا على حميم التقاليد المنبعة في هذه البلاد .

— سوف انصرف بزيارتكم في اقرب فرصة .

وبعد انصراف السا فاسيلفتش ، والد ماريانكا قال ابروشكا المعجوز لأولتين :

— ياله من وفد ! هل ستعطيها حقاً سنة روبلات اجرا شهرياً لهذا الكوخ ! من ذا سمع بشئ من هذا من قبل ! ان اجر احسن كوخ في القرية لا يزيد على روبلين في الشهر بل اننى مستعد ان اؤجر لكم كوخى ثلثه روبلات .
فقال اولتين :

— لا . . اننى افضل البقاء هنا .

— سنة روبلات ! يبدو ان لديك مالا لاحصر له . . ها فافتبوشا لحضر بعض الشيد اننى ظمان ايها اللعين .

وبعد ان شرب كل منهما جرعة نبيذ للاستعانة بها على مشقة الطريق . انطلقا بعد الساعة بقليل . وعند بوابة القرية التقيا بمركية ويجرها نوران ، وجلس في مقعد القيادة ماريانكا وقد عضبت راسها بمندبل ابيض بكاد يصل الى عينيها ، وما ان رآها ابروشكا حتى هتف قائلاً :

— آه . . هاهى ذى حبيبتى ماريانكا .

ورقعت ماريانكا السوط مهددة وهي تنظر اليه والى اولتين
مينبها الجبلتين الضاحكين .

ثم قالت :

— حذار ان تقرب والا ..

ثم فرغت بالسوط للتوربين ، وانطلقت فى الطريق الراجعى بين الحقول وسار فى الطريق نفسه أولئين وابروشكا الذى استطرد فى الحديث عن والد ماريانكا قائلا

— ذلك اللص .. ستة روبلات ؟ .. ياله من انتهازى لعين ..

— ولكن لماذا انت نائر عليه يا ابروشكا ؟

— لانه بخيل .. وانا لا اطيع الرجل البخيل . ان الانسان لن ياخذ معه المال بعد الموت ، فلماذا يحرم نفسه اطايب الحياة بالبخل واكتناز المال . ان لديه الآن كوخين وقد ظفر من ابن عم له بستان ثان من الفاكهة والكروم ، وهو بارع فى كتابة الدعاوى والشكايات لأهل القرية . بل ان اهالى القرى الأخرى يأتون اليه ليكتب لهم شكاياتهم . فلماذا يدخر المال .. ولن ؟ .. ان له ابنة واحدة وابنا واحدا .. والابنة سوف تزوج قريبا فلماذا كل هذا البخل والتهاك على جمع المال ! ..

فقال أولئين :

— أه .. لعله يدخر المال لزواج ابنته .

— ان زواج الفتاة لن يكلفه مالا .. انها جميلة ومعظم شبان القرية يتمنون زواجها . ولكن هذا اللوغد يريد ان يزوجه من رجل ثرى . انه يريد ان يظفر من ورائها ببيع كبير . ان فى هذه القرية شابا فوزاقيا يدعى ليوكا . وهو جار لنا ، وابن اخ لى . انه شاب بارع شجاع وهو الشاب الذى قتل تريبا بالأمس .. حسنا انه يطلب يد الفتاة منذ مدة طويلة ولكن والدها يراوغه ويبتكر الأعذار قائلا انها لاتزال صغيرة وما الى هذا . ولكننى اعرف ماذا يريد .. انه يريد ان يركع الشبان امامه .. ما احقره . ولكن ليوكا سوف يظفر بها فى النهاية ، لانه افضل شاب فوزاقى فى القرية .. وسوف نال وساما ما على قتله التثرى ..

فقال أولئين :

ولكن ما رايتك انتى رايت هله الفناء امس تقبل قوزاقيا فى
النساء سبرى فى الفناء ليلة امس .

فصاح ابروشكا قائلا وهو يتوقف فجأة ؛

- انك لست جادا اء .

- اقسم لك على هذا اء .

ففكر ابروشكا ثم قال ؛

- ان النساء شياطين .. ولكن ائى قوزاقى هذا اء .

- لم استطع ان اراه جيدا فى الظلام .

- مالون فلنستوته .. هل كانت بيضاء اء .

- نعم .

- وستوته .. هل كان يرتدى سترة حمراء اء .

- نعم .

- وهل كان فى مثل طولك اء .

- نعم .. او اطول قليلا .

فانفجر الصياد المعجوز ضاحكا وقال ؛

- انه هو .. صديقى الشاب ليوكا .. انتى احبه كانه ابنى .

وصمت اولتين برهة .. ثم قال ؛

- كيف سيكون سيدنا اء .

- سوف تنبع الكلب . وعندما نرى بطة فوق شجرة . يمكنك

ان تطلق النار عليها .

وبعد برهة صمت اخرى قال اولتين ؛

- لو انك فى مكائى ، فهل كنت تغازل ماريانكا .

- سوف اخبرك بما يجيب ان تفعل هذه الليلة . ولكن عليك الان

ان تراقب الكلب .

واشار الى كلبه المحبوب ليام .

وبعد ان صارنا مسانة اخرى فى صمتنا : استأنف أولئحين
الحديث عن ماريانكا قائلا :

- زدنى حديثا عن ماريانكا .. ان فى تبادله الحبيب مع
ليونكا ..

تقهقس الصباد المحوز قائلا :

- سكونا .. اتصت جيدا .. اتنا الآن سندخل الغابة ..

لم تقدم فى ممر ضيق ، وما لبث الاثنان ان وجدا نفسيهما
داخليا غابة كثيفة الشجر .. وكلما سمع ابروشكا حفيفا ، شرع
يتدقبنه ، وقجاة عاد يقول بصوت هامس قاضيا :

- لا تحدث صوتا فى مسيرك ابها الشاب .. خفف الخطوة بقدر
ما تستطيع لاتنا الآن فى جوف الغابة ..

الفصل التاسع

الصّيد

وهسر الصّياد العجوز فجأة وهو يجلب قلنسوته ليخفي وجهه :

- لقد حطت بطة على قصص نجرة لربّي .. اخف وجهك
يقبضك ابها الناب .. وامتع ان البط يخاف من وجوه
الرجال .

وكان أولّين يسير وراء أيروشكا .. وما أن سمع تحذيره حتى
قوجى . بدوى طلقة ناربة أرسلها الصّياد العجوز من بندقيته .. وإذا
بذكر بظ بهاول قتيلا على مسافة غير بعيدة ، وإذا الكلب ليا
يسرع ليلتقطه . وفيما كان أولّين يقترب ، إذا به يرى ذكر به
آخر يحاول الهرب .. فصبوب اليه بندقيته وأطلقها عليه .. وأصا
قى مقتل .

وصاح الرجل العجوز ضاحكا :

- مرحى .. مرحى .

والتقط الطنّين في ابتهاج ، وسار الاثنان سعيدين ؟ وراحا
يتبادلان الحديث بمودة ، وقد اقتبط أولّين بيارات الملح التي كان
يسمعا من الصّياد العجوز .

وَقِي منعطف داخل الغابة .. قال إيروشكا؟

- أنتظر لحظة .. لسوف نمضي الآن في هذا الممر ، لأنني رأيت منك يومين آثار بعض الطيلاء .

وسارا كى ممر كثيف الشجر ، وبعد مسيرة مائة باردة . وصلا الى صاحبة ذات عشيب وماء ، وشاهد أولتين . الذى كان يسير الى المؤخرة - الصياد المجوز وهو ينحن على الأرض ويفحص بعض الآثار ، ثم يشير الى آثار أقدام شريرة ويقول !
- اترى !

فقال أولتين بصوت خافت !

سلم .. انها آثار أقدام شريرة .

ونخطر بباله ان الآثار قد تكون لأقدام بعض النمر الخشنين قى الغابة استعدادا للاغارة على القرية ، ومن لم بدأت المخاوف تنوشه ولكنه فوجيء بإيروشكا يقول له !

- انها أقدامى آنا .. وهى تكاد تختفى تحت آثار حوافر بعض الحيوانات البرية .. وهذا يعنى ان هذه الحيوانات قد مرت من هنا منذ عهد قريب .

ونجاة سمعا صوت حيوان ينطلق من مخبئه ويشق النبات الكثيف فى طريقه ، وسرعان ما أعدا بندقيتيهما للاطلاق . ولكنهما لم يريا شيئا ، وأما سمعا فقط دققة حوافر حيوان يندفع بعيدا منهما .

وقال الصياد المجوز وهو يكشر عن أليابه فر غبطا !

- انه وهل كبير القرون .. لاشك انه كان واقفا فى مخاض ربنا فكيف قفلنا عنه .. بالفرصة الضائعة .. ما أجد حماقتى .

وبدأت الشمس لميل نحو الغروب ، فعندما أخذ أولتين مع الصياد المجوز فى العودة الى الكوخ ، وبرغم ما كان يشعر به أولتين من لميى وجوع ، فانه كان مستهجا سميع النفس وهو يرى مرة

أخرى الجبال البعيدة ؟ وما ربانكا تروح وتمقدو قى الفناء ، والصيد
ايروشكا لا يكف عن سرد مغامراته ايام السباب .

وفي صباح اليوم التالي ، ذهب اوتين الى الغابة ، للصيـدة
بمفرده . . لم يشأ ان يصحب معه الصيد المجوز . وسار فورا
الى البقعة التى هرب منها الوعل فى اليوم السابق ولكنه لم يجد
له اثر . . فانطفئ الى مكان آخر فى قلب الغابة ، وسرمان ما رأى
عددا من الطـ . . . يحاول الطيران بعيدا ، فاطلق عليه بندقيته بسرعة
وفى طلقات سوابية مما جعله يستطيع اسقاط خمس بطات . . .
وادرك ان ايروشكا المجوز ابنى ان يسير به الى هذا المكان الراخس
بالبط ، حتى يحتفظ بـه لنفسه .

وعند الظهر ، كان التعب قد حل به ، فالتقط بطاته الخمس ،
وشرع يسير فى طريق العودة . . ولكن السماعات اخذت تمر وهو
لا يجد متفدا يخرج به من الغابة . . وادرك انه ضل الطريق . . وان
من الممكن ان يقضى بضعة ايام وليال وهو سجين داخل غابة لا يعرف
معالمها . ومع كل خطوة كانت مخاوفه تزداد . . ونسى تعب . .
وراح بحث الخطو وهو يحاول ان يعرف طريقه من اتجاه الضوء
ولكن مبشأ كانت محاولاته . . لقد خيل اليه ان كل خطوة بخطواته
به الى قلب الغابة بدلا من خارجها . . وبدأ الظلام يكسو الجو . .
والزاد احساسا بالضياء . . وراح ينتم باللف ، ولما اظلم الجو
ابقن انه سوف يقضى الليل بمفرده داخل غابة زاخرة بالوحوش
والحيوانات البرية . . ومن يدري . . فلعله يلتق حنفة فى هذا المكان
الوحش . . ولعل حيوانا يربا لتهم جسده ولا يترك الا عظامه لكى
تنمو فوقها النباتات . . ولكنه ابنى ان يستسلم للباس ، قراح بمضى
على غير عدى الامل براوده فى انه سوف يجد نفسه فجأة خارج
الغابة فى طريق معروف .

ولحق لامل بر لحظة وانما هو : فى ظلام الليل ، سمع
لصوات جماعة من جنود القوراق يتحدثون ويضحكون فى مكان

اقرب . واسرع نحو مصدر الأصوات . . . ومالبث أن رأى مياه نهر
تيريك تلعب في شفق المساء ، والهضاب على الضفة الأخرى تمتد
إلى الأفق البعيد وبعد مسيرة خطوات أخرى . رأى برح المراقبة
أقى المخفر يرتفع أمامه ، وشاهد جوادا يرمى العشب في مكان قريب
منه ، كما لمع عددا من الجنود واقفين يتحدثون ، وبينهم ليوكا بقاته
الطويلة ، يتبادل معهم الحديث والضحكات .

وخامر أولئين احساس عميق بالسعادة . . . لقد أدرك انه وصل
إلى مخفر نيزن - برونسك على نهر تيريك في مواجهة القرى الثرية
على الضفة الأخرى من النهر .

وتنهذ في ارتياح عندما وصل إلى أحد الأكواح المخصصة
للاستراحة في المخفر . . . ورد الجنود عليه التحية بلا اهتمام ، لأنه
كان أولا يدخل سبجارة ، وقد اعتاد القوزاق أن يحتقروا مدخني
السجائر ، ولأنهم كانوا من ناحية أخرى مشغولين بأمور أكثر
أهمية .

كانوا في تلك الليلة يستعدون لاستقبال جماعة من النتر الذين
قرروا الحضور لافتداء جثة مواطنهم الذي قتل بيد ليوكا . ومن
ثم كان الجنود القوزاق في حالة انتظار وصول قائد الحامية من
القرية ليقوم بالمفاوضات مع جماعة النتر .

ولم تمض غير لحظات حتى وصل الوفد الثري برئاسة شقيب
القتيل ، وكان رجلا قوي البأس ، قصير الشعر ، مصبوع اللحية
بالحناء شديد الشبه ناحيه القنبل ، وبعد أن تبادل التحية القصيرة
مع حراس المخفر ، جلس في هدوء دون أن يتنازل بالظر إلى أحد
أو حتى إلى جثة أخيه . وأنه ظل جالسا يدخل منشفة القصير . . .
ويسبق على الأرض ، ويدمدم بكلمات غامضة كان زملاؤه يسمعون
الها باهتمام . وكان الواضح أنه واحد من الذين التقوا في معارك
كثيرة مع الجنود الروسين ، ومن ثم لم يكن فيهم ما يثير اهتمامه
أو يسترعي نظره .

وكاد أولئين أن يعضى ويلقى نظرة على جثة الثري القنبل ، ولكن
شقيقه دمدم بعبارات حادة وقد ارتسم الاحتقار المزروح بالعضيب

على وجهه ؟ مما جعل أحذ الحراس يسرع ويلقى بطرف الفئساء
على وجه الجنة ، وتائر أولئین بهیة التترى الباسل ، وحاول أن
يتحدث معه لیساله من این جاء ، ولكن الرجل نظر الیه فی احتقان
ثم بصق على الأرض ، ولم یشس أولئین ، وإنما استدار الى المترجم
الذی جاء مع الوفد ليقوم بترجمة الاحادث بین التتر والقزاق
وراح يتحدث الیه بعد ان قدم الیه بضع سجاتر .

وقال المترجم التترى باللغة الروسية الרכبة .

— انهم خمسة اخوة . وهذا القنبل هو ثالث ضحية على ایدی
الروسین من هؤلاء الاحوة ولم یبق الا اخوان فقط .

ثم اشار الى التترى الباسل واردف قائلا :

— ان هذا الأخ شجاع . . شجاع جدا ، له قلب اسد . . وقد
لکان مختبئا بین الأشجار على ضفة النهر عندما قتل اخوه وهو يحاول
هیور النهر للاسكفاف . وقد شاهد كل شیء بعد ذلك . شاهدهم
وهم يخرجون جثة اخیه من الماء . . وهم بضحكون وقد اراد أن
یقنهم صفوهم وبقتل عددا منهم ، ولكن زملاء منعوه .
واقبل لیوکا وجلس بجوار المترجم وسأله قائلا :
من اية قرية هو . .

فاشار المترجم الى الهضاب الممتدة وراء ضفة النهر . . ثم
قال :

— من قرية سويوكرسو . . على مسافة لعانية اميال .
— هل تعرف رجلا كبيرا بلعى جیری - خان . . أنه من اهالی
محافظة سويوكرسو . . أنه صديق لى .
— أنه ايضا جار لى .

وهنا بدا الاهتمام على لیوکا ، فراح يتحدث مع المترجم باللغة
التترية .

وبعد لحظات اخرى ، وصل قائد الحامية من القرية . . ومعه
شیخها والنان من امياتها وكانوا جميعا على منون الجیاد . . وحیا

القائد الجميع بيده ، ولكن الجنود لم يهتفوا - كالمتاد - بمعارات
التحية ، وانما احتوا رهوسهم ، على حين وقف عدد منهم وبينهم
ليوكا ، وقفة عسكرية واعلى الجاويش ان كل شيء على مايرام ،
وسرعان ما اتخذت الاجراءات الرسمية ، وكثبت المعاهدة . وسلم
القائد القدية ، وتقدم شعبق القنبل وزملاؤه لاستلام الجثة .

وقال قائد الجنود وهو بدير عيشه فى الحراس :

- من منكم يدعى ليوكا جافريلوف ؟ .

فرفع ليوكا قلنسوته وتقدم من قائد الحاميه قائلا :

- اننى نحت امرك ياسيدى .

فرمقه القائد يامعان وقال :

- لقد ارسلت تقريرا الى الكوانتيل ، ولا ادرى ماذا تم شأنه .
وطالبت فى التقرير ان تمنح وساما لذك اسمر سنا من ان ترقى
الى رتبة جاويش ، هل تعرف القراءة والكتابة .

- لا ياسيدى .

- ولكك فتى شجاع . وكنت اتعنى لو انك تعرف القراءة
والكتابة . . حسنا . . ضع قلنسوتك على راسك .

ثم استدار القائد الى بعض الحراس وقال :

- ساعدوا هؤلاء التتر على حمل الجثة .

وعاد ليوكا وحلس بحوار اولئين وهو مشرق الوجه بالسعادة .
وبعد ان فرغ الجنود من حمل الجثة الى القارب . وثب شعبق
القنبل اليه . ثم استدار ودار بعينه فى وجوه حراس المحفر وهو
يتحدث الى المترجم الذى اشار الى ليوكا .

وظل شعبق القنبل مركزا نظرائه على ليوكا كأنها بحر صورته
فى ذهنه . ولم تكن فى نظرائه هذه اية معان للحمد او العضيي .
وانما كانت احتقارا حالصا .

وبعد أن هذا كل شيء ، قال لـ «لوتين» الذي كان يدخن
سيجارة :

- لماذا تدخن .. ان التدخين عادة سيئة وصار للصحّة

فرد لوتين قائلا

- انها مجرد عادة .. لماذا نسال ؟.

- لالشيء .. انتا عكر فقط فيما يمكن ان يحدث لو ان احدا منا
تحر القوراق بدادخن .. حسنا .. كيف استطعت معرف الطريق
الى هنا عبر الغابة ؟.

فضحك لوتين وقال :

- الواقع انى ضلت الطريق .. وقد جئت اليكم بمحض
المصادفة .

- وهل تعرف كيف تعود ؟.

- لا .. مطلقا ..

- اننى على استعداد لان اصحبك .. يمكنك ان تطلب هذا
من الجاويش ..

وقال لوتين لنفسه :

- ما اجمله من فني ؟.

لم تذكر فييل مربيته له بالقرب من مباح البت .. وعاد يقول
لنفسه « ماهذه الحماسة والفاء .. هاهو ذا شاب قتل رجلا بلا
ومع ذلك يشمر بالمعاده والعز .. كانه قام بعمل مجيد » كيف لم
يستطيع ان يدرك انه ليس «ناك فقط ما يدعو الى كل هذا ارمو
وهذه المعاده ؟.

وقال احد الحراس وهو مود من سفة النهر :

- كن على حذر بالموكا . ألم تسمعه وهو يسال عنك ؟ انه لن
يستريح حتى يثار لاجيه منك .

تفرغ ليوكا رأسه وقال بصوت نهم من الثقة بالنفس !
- اذا حاول ان يضع قدمه في هذه الناحية ، سيكون مضيره
مضير أخيه نفسه .

وهز الحارس كتفه وقال !
- ان هذا الثرى كما يبدو لى شديد البأس .. عليك ان تأخذ
محذرك من الآن فصاعدا أيها الزميل .

فارسل ليوكا ضحكة عريضة وقال :
- عليه ان يحمد الله اذ عاد الى فريته سالما ،
وعندئذ سأل اولئين قائلا :

- لماذا انت سعيد الى هذا الحد .. ماذا يكون شعورك لو ان
أخاك هو الذى قتل ؟

فنظر ليوكا الى اولئين بعينين ضاحكتين وقد فهم مقصده ،
ومن ثم قال ببساطة :

- ان هذا يحدث دائما .. الا بغير هؤلاء الثرى علينا بين الحين
والآخر ويقتلون اخوانا لنا ؟

الفصل العاشر

الهدية

وانصرف قائد الحامية وشيخ القرية . وقرر أولئين أن يرضى ليوكا وينبج له فرصة ريادة القرية . فطلب من الجاوش أن يسمح له بمرافقة ليوكا في طريق العودة . وكان يعتقد أن الشاب يريد العودة الى القرية ليرى ماريانكا . ولم يتردد الجاوش في اجابة أولئين الى طلبه .

وفي انهاء عودتهما الى القرية قال أولئين لنفسه :

« ان ليوكا يحب ماريانكا . وقد كان من الممكن ان أحما أنا أيضا . ولكن من واجبي ان افصح الطريق لتنمية هذا الحب بين العاشقين » .

وغمزه احساس بالمعطف على لوكا وماريانكا . وكان ليوكا مشغول بالمعادة الكاملة وهو يسيح حوار هذا الشاب الروسي الرقيق الذي أحس نحوه بصدانة معاذرة . . . وكان هذا الشعور المشترك يجعل الاثنين يرقبان في الضحك كلما التقت نظرتهما .

وقال أولئين وهما يقتربان من احدى البوابتين :

« اي هاتين البوابتين اقرب الى المكان الذي تريد الذهاب اليه .

أورد ليوكا قائلا :

- أتني سامضي معك الى اقرب مكان لمسكنك .. لا تخش
تسبنا .

فضحك اولتين وقال :

- أتني لست خائفا ولكنني لا اريد ان انقل عليك .

- لا .. لا .. مطلقا .

- حسنا .. هل يمكنك ان تنزل ضيف على لشرب معي كاسا
من النبيذ الاحمر ؟

- ان الجاوبش طلب مني ان اعود الليلة

- حسنا .. يمكنك ان تعود بعد ان يجلس وينبادل الحديث
ونشرب كاسا من النبيذ معا .

وبعد برهة سمعت قال اولتين

- لقد سمعتك امس تفنى .. ورايتك ..

- آه .. اننا بشر .

فاوما اولتين براسه لم تال :

- هل حقا تنوي الزواج كما سمعت ؟

- ان امي تريد هذا .. ولكنني لم امثلك جوادا بعد .

- السب جنديا في الجيش العامل ؟

- لا .. انني التحقت بالجيش منذ عهد قريب . وليس لي حق

في الحصول على جواد من الجيش لان . ولست ادري كيف يمكنني
الحصول على واحد منها . انني لن استطيع ان الزوج قبل ان يكون
لي جواد .

- كم تمن الجواد ؟

فصمت ليوكا برهة قبل ان يرد قائلا :

كنا نتحدث عن شراء جواد في امسية الأخرى من النهر

وقد بيل لي ان اقل ثمن الجواد الذي هو سين روبلا .

وتجاة قال اولتين ؟

- ما رايك لو التحت بخدمتي واصبحت مراسلة لي ؟ . اننى
استطيع ان ارب الامر مع قائد الحمية وسوف اعطيك جوادا لان
لدى جوادين .. ويمكننى الاستغناء عن احدهما .

فضح ليوكا قائلا :

- ماذا تعنى بهذا ؟ ولماذا تقدم الى مثل هذه الهدية ؟ .. ان
قوى مقدورى ان احصل على جواد بوسيلة ما .

واربك اولتين قلبلا .. لقد اراد ان يقول شيئا ، ولكنه لم
يعرف ماذا يقول . واخيرا غفم قائلا .

- الا تريد ان تكون مراسلة لي ؟

- لا ..

- حسنا .. ولماذا لا تريد ان تقل جوادا هدية منى ! .

وبعد برهة صمت .. قال ليوكا :

- الدبك بيت فى موسكو .

ولم يجد اولتين مقرا من ان يقول له ان لديه عددا كبيرا من
البيوت فى موسكو .

وعندئذ قال ليوكا :

- بيوت اكبر من بيوتنا ؟ .

- نعم .. اكبر جدا .. ارتفاع كل بيت يزيد على ثلاثة طوابق .

- وهل لديكم جياذ مثل جياذنا ؟ .

- ان لدى مئات من الجياذ .. كل واحد منها يساوى لثمانية

او اربعمائة روبل فضى .. ولكننى احب جياذكم .

وبعد مسيرة خطوات اخرى فى صمت . قال ليوكا :

- وما الذى جاء بك الى هنا ؟ هل جئت بمحض ارادتك ، ام

ارفضك احد على المجرى ..

لم اُشار الى منعطف في ممر الغابة واودف قائلا :

- انرى .. هاهو ذا المكان الذى ضللت فيه طريقك .. كان
يجب ان تنحرف الى اليمين بدلا من اليسار .
ورد اولئين على سؤاله قائلا :

- لقد جئت بمحضر رغبتى .. ردت ان ارى بلادكم وان اشترك
ببعض الحملات العسكرية .

- آه .. لشدما اتمنى لو استطعت الاشتراك فى هذهالـ :الـات
يوما .. اتسمع عواء هذه الذئاب ؟

- اخبرنى بالبوکا .. الم تشمر بالرهبة وانت تقتل رجلا .
- الرهبة ؟ لماذا ؟ وكيف اشعر بالرهبة وانا اريد الاشتراك فى
أحدى الحملات العسكرية . ارجو ان تتيح لى هذه الفرصة
يوما .

فهرز اولئين كتفه وقال :

- من يدري .. فربما اشتركنا معا فى إحدى هذه الحملات
اقبل الاحتفال بالعيد .

- اننى على كل حال لا اكاد امرف سببا يبرر مجئك الى هنا .
ان لديك جيادك ، واملاكك ، وعمال مرارمك . لو كنت مكانك . لما
تركك هذا كله لابعث فى مثل هذه البرارى البعيدة عن العمران ،
ماهى ربتك ؟

- اننى ضابط متطوع ، ولكننى مرشح للترفيه فريبا .
وهز ليوكاراسه فى حيرة وقال :

- لنفرض انك صادق فيما تقول ، فلماذا جئت الاقامة هنا ؟
أتنى لا اجد ما يبرر هذا التصرف ؟ هل انت مسرور بانامك ممأ .
- كل السرور .

وكان الظلام كثيفا عندما وصلا فى النهاية الى القرية . وما
اكاد اولين يصل الى الكوخ ، حتى اسرع الى المربط وعاد جواد من
جواده .. وكان قد اشتراه من مدنة حرورى شمن رهيد . لانه
كان جوادا عاديا فى العاشرة من العمر .

ولما قدمه الى ليوكا ، قال هذا فى دهشة مألوفة :

- عجبنا ! ماذا تقدم الى هدية نمينه كهذه واننا لم افعل من احلك
شيئا ؟

وكان اولين فى ذلك اللحظة يشعر بسعادة غامرة .. كان يشعر
انه سعيد فى هذه القرية القوزاقية .. وانه امسى جزءا منها ،
يحبها . ويحب أهلها ، ويحب ليوكا وكأنه يعرفه منذ الطفولة .

ولما كور الشاب عليه السؤال : افارق من تفكيره وقال بصوت
هادئ :

- انى لم افعل شيئا كبيرا ، ارجو ان تقبل هذه الهدية
المواضعه ولا شك ان الايام ستتيح لك الفرصه لتقدم لى صنعا
كبيرا .. ومن بدرى .. فلعلنا نشترك معا فى احدى الحملات
العسكرية .

وارداد شعور ليوكا بالارباك . وعاد بقول دون ان ينظر الى
الجواد

- ولكنى لا رلت مندهشا . انك تقول انك لى غير حاجة الى
هذا الجواد . فهل يمكن ان يكون الانسان فى غير حاجة الى
جواد .. اى جواد ؟

- و .. ارجو ان تقبله .. انك اذا رفضت هذه الهدية
فسوف يحرج شعورى .

ثم اردف قائلا لفانيوشا :

- قدم له الجواد ..

وقال ليوكا وهو يمسك بعنان الجواد :

- حسنا .. اننى لا استطيع ان اهرب لك عن مبلغ سمادتى
بهذه الهدية ولكننى لا زلت مندهشا فائى لم اسمع فى حياتى
شيء مثل هذا .

وقال اولئين وهو يشعر بسعادة غلام فى النابية عشرة من
عمره :

- اربط الجواد هنا . انه جواد طيب . لقد اشتريته من
يجرونى . هلم يا فايوشا ..

احضر لنا بعض السيد .. ولندخل معا يا ليوكا لنشرب !
وجلس ليوكا فى الكوخ . وافل فايوشا بالنبيذ ، وقال وهو
يرفع كاسه :

- اسال الله ان اتمكن يوما من رد جميلك .. ما اسمك
يا سيدى ؟

- اولئين ديمترى اندرفيشس ..

- حسنا يا سيدى .. ليباركك الله ، ولكن اخوين مديح
الحياة . وارجو ان تكرم بزيارتنا يوما . اننا لا نملك كثيرا ،
ولكننا نعرف كيف نكرم اصدقاءنا . وسوف اخبر امى لكى تقدم
اليك كل ما تحتاج له .. من زبدة او عنب .. واذا حئت الى
المخفر ، فسوف اكون خادمك المطيع ، سوف اصحبك الى السيد ،
او امضى بك عبر النهر او الى أى مكان تريد .

ثم صمت مفكرا وعاد يقول :

- لو انك جئت البنا منذ ايام ، اجعلتك تشترك معنا فى صيد
الخنزير البرى الذى ظفرنا به ..

- شكرا جزيلآ يا ليوكا ..

واقترب ليوكا براسه من راس اولئين وهمس قائلا :

- وهناك شيء آخر لعلك تريد ان تعرفه .. ان لى صديقا

تتربا يدعى جيري خان . لقد ظلم منى ان اذهب ذات ليلة لنظفر
ببعض الجياد البرية فى هضاب فوجاي . . فهل تحب ان تشرك
معنا فى هذه المغامرة . . لسوف اكون حارسا لك .

وربت أولنين على كتف ليوكا وقال :

— نعم . . نعم . . لسوف تذهب معا ذات يوم .

وتراخى ليوكا فى جلسته وكأنما شعر احيرا انه يحلس مع
صديق حميم . وكان أولنين فى دهشة لبساطته وهو يتبادل معه
الحديث وفى النهاية ، وبعد ان لعبت الخمر برأس الشاب
القوزاقى ، تهض وصافح أولنين منصرفا .

وبعد انصرافه ، اطل أولنين من نافذته ليرى ماذا سيجعل
الشباب ليوكا . . وكان هذا يعبر الفناء مطرفا ، حتى اذا
وصل الى البوابة ، فك عنان الجواد ، ووثب على ظهوره فى خفة
القط ، وانطلق به راكضا فى طول الشارع ، وكان أولنين يعتقد
ان ليوكا سوف يذهب الى ماريانكا ويخبرها بأمر الهدية وبانه قد
ظفر اخيرا بالجواد الذى كان لا بد له ان يحصل عليه قبل الزواج .
ولكن برغم ان ليوكا لم يعمل هذا ، فقد شعر أولنين بالقبلة
والرضا ، واحس انه سعيد تماما بنفسه وبالدسائها . . كان
سعيدا كالطفل . . ولم يستطع ان يملك نفسه من اخبار فانيوشا
بانه اهدى الى ليوكا جوادا ، ثم ذكر له السبب فى تقديم هذه
الهدية ، وبعد ذلك راح بشرح نظريته عن السمادة ولكن فانيوشا لم
يستطيع ان يهضم هذه النظرية فبالا انه لا يملك اموالا يلقى بها
هكذا فى الطريق .

ومضى ليوكا الى بيته ، وترجل عن جواده ، وسلمه الى امه
وطلب منها ان تذهب به الى جياد القرية ليرعى الغنم معها .
وكان عليه ان يعود الى المحفر فى الليلة نفسها . ولا علمت امه بأمر
الجواد ، وكبف ظفر ليوكا به . هزت رأسها فى دهشة وهى تعتقد
لمى فرارة نفسها ان الجواد لا بد ان يكون مسروبا .

وعاد ليوكا في الطريق الى المخفر وهو مستغرق في افكاره
حول تصرفات اولئين فبرغم ان الجواد لم يكن في رايه يساوى
اكثر من اربعين روبلا ، فانه كان سعيدا بهذه الهدية . ولكنه
لم يستطع ان يجد سببا واحدا يبرر هذا التصرف العجيب وكان
بسبب هذا العجز عن فهم سر الهدية لا يشعر بالشكر أو عرفان
الجميل ، بل على العكس ، كانت الشكوك تملأ نفسه في نوايا
اولئين . انه لا يعرف ماذا يريد اولئين منه ، ولا لماذا يقدم
اليه هدية ثمينة كهذه وهو لا يكاد يعرفه . ان احدا لم يسمع من
قبل ان رجلا اهدى جوادا ثمينة اربعين روبلا لاسان غريب عنه .
ولو كان اولئين مخمورا حين قدم هذه الهدية ، لالتبس ليوكا له
العدر . ولكنه كان في تمام وعيه . اذن ليس هناك غير معنى واحد
لهذا التصرف . وهو ان اولئين اراد ان يرشوه ليؤدي له عملا
منكرا . وقال لنفسه : حسنا . . اذا كان هذا هو هدفه فلا
أخوف على . . لقد ظفرت بالجواد . وسوف يرى ماذا سبحدث
بعد ذلك . اننى لست ساذجا ، وسوف نرى من هو الساذج
منا . . انا ام هو .

وازداد احاسا بان عليه ان يحمي نفسه من نوايا اولئين
الشريرة ، وهكذا تحولت مشاعره من الصداقة الى العداء والتعور
ولم يذكر لاحد كيف ظفر بالجواد . . قال للبعض انه اشتراه
وراوغ البعض في الاجابة عندما سألوه . . ولكن الحقيقة انتشرت
في انحاء القرية . ولما وصلت الى مصنع ماريانكا وأمها وأبيها
وغيرهم من القزاق بدعوا يتخلدون حذرهم من هذا الروسى .
ولكنهم برغم مخاوفهم كانوا يشعرون بالاحترام الشديد نحو هذا
الروسى الكريم .

كان بعضهم يقول للبعض الآخر :

— هل سمعت بما حدث ؟ ان هذا الروسى الذى يقيم في

أخوتُ ابليبا المعلم قد أهدى جوادا لليوكا .. لا شك أنه واسع
الثراء ..

ويرد عليه أحدهم قائلا

- نعم سمعت .. لا شك أن ليوكا قد أدى له خدمة جليلة ..
لنستوف نعرف الحقيقة يوما .. وأيا كان الأمر ، فإن الحظ دائما
يسمى في ركاب ليوكا .. الخطاب ..

الفصل الحادى عشر

الوليمة

عاشر اولين فى القرية القوزاقية عبسة هادئة رتبية . وكاد عمله فى المسكر لا يستغرق منه الا ساعة او بعض ساعة بين الحين والآخر . وكار المعتاد ان تطلق الحرية فى التصرف للضابط المنطوع فى الحشر اذا كان من الطبقة الثرية فى المجتمع . ومن ثم لم يكن مفروضا عليه ان يقوم بعمل معين و ان يشترك فى التدريبات العسكرية بعد ان اثبت جدارته خلال الممارك التى اشترك فيها مما جعل رؤساءه يطالبون بترقيته . ولهذا ترك وشانه فى سلام . وكان الضباط يعيرونه احد افراد الطبقة الارستقراطية ، ومن ثم كانوا يتجنبونه ولا يشركونه معهم فى امسارهم والعابهم للورق وحلقات غنائهم . ولم يكن هو - من جانبه - بهم كثيرا لهذا كله . كما كان ايضا لا يحدو حلوهم فى انطلاقاتهم بالقرية . يعنون ، وبغارلون العذارى ، ويتصلون بالنساء ، بل ويتزوجون ايضا . وكان اولين يحب ان يحيا حياته الخاصة وان يتجنب الطرق المعتادة المطروقة . وكان ينسج هذا التقليد فى حياته بالقرية القوزاقية .

وكان يستيقظ فى الصباح الباكر بطبيعته . وبعد ان يشرب الشاي فى الثروة ويستمتع بمنظر الجبال والصباح

وماريانكا ، يرتدي سترته المصنوعة من جلد الثيران ويدس خنجره
 فى حزامه ، ويحمل بندقيته وكبسه الصغير المخبى على طعام
 الغداء والتبغ ، ويستدعى كلبه ويمضى بعد الحامسة بقليل الى
 الغابات الممتدة وراء القرية وفى نحو الساعة مساء يعود متعبا
 حائلا نحو ست أو سبع بطات برية الا انه من المستحيل
 عليه ان يعرف فيم كان يفكر فى خلال رحلانه اليومية هذه للصيد
 هل كانت الافكار تدور بذهنه ، او الذكريات او الاحلام . فى بعض
 الاحيان كان شئ من هذا كله يعر بذهنه مراريا خاطعا ، فاذا
 تنبه من خوابه سأل نفسه عم كان يفكر فيه ، وفى بعض الاحيان
 كان يظن انه كان يتصور معه مواطنا فوزانيا يعمل فى الحقول
 والبساتين مع زوجته الفوزاقية ، او تترىا يعيش فى الجبال ، او
 وملا بهرب من الصيد ، وفى خلال هذا كله كان لا يكف عن التلفت
 حوله عسى ان يلمح بطة او غزالا او خنزيرا برياً .

وفى الامسيات كان الصيد ابروشكا يالى ويجلس معه ، وكان
 احيانا يحضر معه النبيل الاحمر ، يجلسان معا ويتبادلان الحديث
 ويشربان حتى يادبا الى الفراش وفى الصباح يمضى الى الصيد
 مرة اخرى وهكذا . وفى ايام العطلات والاعباد ، كان يمضى اليوم
 كله فى الكوخ . وكان يشغل نفسه طيلة الوقت بمراقبة ماريانكا
 وهى تقوم بأعمال البيت المخنعة . ودون أن تشعر هى بنظرانه
 التى تلاحقها . وكان يتأمل الفناء الحسناء ويحبها ، او هكذا
 كان يظن ، كما يحب الانسان مناظر الطبيعة الجميلة ومن ثم لم
 يخطر بباله ان تنطور علاقته بها الى اكثر من هذا . لم يخطر بباله
 قط ان تقوم بينه وبينها علاقة مثل تلك التى كانت قائمة بينها وبين
 القوزاقى ليوكا . وكان يشعر انه لو سار على نهج زملائه الضباط
 وحول اعجابه بماريانكا الى غرام ، احب على نفسه - وربما عليها
 ايضا - متاعب وآلاما ليس لها ما يبررها . هذا فضلا عن شعوره
 العميق بأن سلوكه هذا نحوها ينطوى على لون من انكار الذات . .
 مما اضفى عليه احساسا بالرضا والسعادة . ولكن اهم شئ فى
 الموضوع كله انه كان يهرب ماريانكا ولا يجرد على ان يوجه اليها
 كلمة جيب . .

وحتى يوم من أيام الصيف ، عندما كان أولنين جالسا بكوخه
لانه لم يشعر بالرغبة في الصيد ، اقبل عليه فجأة شاب كان قد
تعرف به في احدى الحفلات الساهرة بموسكو .

وقال الشاب بمزيج من اللغة الروسية واللغة الفرنسية شأن
الطبقة الأرستقراطية يوم ذاك :

- اوه .. ما اسعدنى بلفانك يا عزيزى . ولشدهما كانت بهجتى
حين عرفت انك تقيم هنا .

وصمت برهة قبل ان يستطرد قائلا :

- لقد قبل لى ان أولنين هنا . احما ؟ أولنين ؟ ان هذا لشيء
مظيم ان أولنى من اعز اصدقائى . تصور كيف يجمع بيننا القدر
فى هذا المكان ! ماذا تفعل هنا يا عزيزى !

وكان الشاب هو الأمير بلنسكى ، وقد راح يتحدث فى اسباب
من الظروف التى دفعت به للالتحاق بالجيش القوزاقى ، وعن
الوعود التى قطعها له قائد الجيش ليجعله احد اركان حربه بعد ان
يشدوب على القتال فى مختلف المناطق العسكرية . وانثنى من هذا
الحديث الى الثروة عن الحياة الاجتماعية فى موسكو ، وعن مفاخراته
الفرامية التى لاحصر لها . وكان أولنين ينصت اليه فى ضيق شديد
لان كل شيء فى حديثه وتصرفاته كان يذكره بالحياة المتعفة المنحلة
التي يحاول ان يهرب منها فى هذه القرية القوزاقية النائية . لقد
بدا له ، وهو ينظر الى بلنسكى وينصت اليه ، ان حاله القديم الذى
يحاول الفرار منه ، قد لحق به فجأة . وشعر بالفضب من بلنسكى
ومن نفسه ، ولكنه لم يستطع ان يفعل شيئا غير الجلوس والانصات
الى هذه الثروة المزعجة .

ولم ينصرف الأمير الشاب الا بعد ان جعل أولنين يعده بالزيارة
بين الحين والآخر . ولكن أولنين كان فى قرارة نفسه قد ازمع
ان يتجنب بلنسكى بقدر الامكان . أما فانيوشا ، فكان سعيدا بهذه
الزيارة ، لانها اعادت اليه شيئا من حياته الحافلة فى موسكو .
وانغمس بلنسكى فوراً فى الحياة بالقرية القوزاقية كاي ضابط

شباب واسع الثراء وما أن مضى شهر حتى أصبح كأنه واحد من أهلها ، يعرف الجميع ، ويعرفه الجميع ويقدم الحمر للعجائز من الرجال ، وهدايا الأسلحة للشبان ، والخطوى والمطارف للعدائى والنساء ويقيم على نفقته الولائم وحفلات الشاي التى كان يدعو إليها عدائى القرية وكن يدعوته - لسبب ما - بكلمة « بابا » . وكان طبيعيا أن يفدو موضع اعجاب وحب الجميع . على حين كان الجميع ينظرون الى أولئى المنطوى على نفسه نظرهم الى مخلوق شاذ .



كانت الساعة الخامسة فى بكور الصباح ، وكان فانوشا يوقد النار فى الفناء تحت اريق الشاي وقد جعل من حدانه الطويل متفاحا لأضرام النار . وكان أولئى قد مضى ليسنجم مع حواده فى نهر ميريك اذ كانت السباحة إحدى هواياته . وكانت ربة البيت العجوز أولئىكا مشغولة بأشغال القرن لأعداد رجة الإفطار . أما مارياتكا ، فكانت فى حظيرة الماشية تحلب اللبن .

وبعد لحظات سمع الجميع دققة حوائر جواد فى الشارع ، وما لبثت أولئى أن دخل الفناء معتليا صهوة جواده الحمير المتألق بالماء ، وأطلت مارياتكا براسها من الحظيرة ، ثم عادت الى عملها . ولكن أولئى ظن أنها لا تزال تختلس النظر اليه فشمع بالزهر والاختيال ، وخيل اليه أنها تختلس النظر الى جواده الفاخر ، والى ملابسه الأنيقة ، والى مظهره العام الذى يجمع بين فتوة الشباب، وكرم المحتد ، ووقرة المال .

وصاح بلهجة طروب قائلا لفانوشا :

- الشاي يافانوشا .. وبسرعة .

وأقبما هو يدخل الكوخ ، نظر سرمة الى باب الحظيرة ، ولكنه كوجىء بمارياتكا لا تنظر اليه .. وانما كانت مستغرقة فى حلب الأبقار .

وبعد أن شرب الشاي وتناول الإفطار ، جلس فى الشرفة وبين يديه كتابه ، ولكنه لم يستطع أن يقرأ اليه سطرًا ، لأنه راح يرتع

ماريانكا ، بعد ان آجيت بالاقرار والجاموس الى المراعى ، وصادت
لتقوم بأعمال البيت ، ويتأمل كل حركة وسكنة منها وكانت هي
تختلس النظر اليه بين الحين والآخر وتلتصع فى عينيها نظرة الغناة
المزعومة بحمالها .. الشامرة بتأثير هذا الحمال على قلوب الرجال
وصحاة افل يلسكى فى ملابس ضابط بالجيش القوزاقى وقال
لاولئين محببا :

- طاب يومك يا صديقى العزيز ؟ -

فصافحه اولئين قائلا :

- طاب صاحبك يا بلسكى .. ما الذى دعاك الى الاستيقاظ
فى هذه الساعة المبكرة ! -

- ليس الامر بيدى .. لقد ايقظونى مبكرا للاستعداد لحفلة
العشاء الليلة فى بيت اوسنكا .. هل ستأتين باماريانكا ؟ -

ودعته اولئين حين رأى بلسكى يتحدث الى ماريانكا وكأنه
مرفعا مندا طويلا ، على أن ماريانكا تركت العشاء ، وكأنها لم
سمع شيئا ، واجهت نحو حظيرة الإبقار .

وصاح بلسكى قائلا :

- هل تشعرين بالخجل منى بافتاتى الجميلة ؟ -

لم اردف قائلا لاولئين !

- الواقع انها تشعر بالخجل منك انت يا اولئين .
وقال اولئين :

- ما هذه الوليمة التى تتحدث عنها يا بلسكى ؟ -

- ان اوسنكا ستقيمها الليلة فى مسكنها ، على نفقتى طبعاً .
وصوف يحضرها عدد من عذارى القرية ، وسناكل فيها الوانا من
الطعام القوزاقى الشهى .. وقد جئت لادعوك .

وقال اولئين :

- ولكن ماذا سنفعل فى هذه الوليمة ؟ -

وقمض بلسكى بعينه وهو يرمى الى حظيرة الإبقار ، واضطرم
وجه اولئين وقال وهو يهز كتفيه :

— انك شاب غريب الاطوار يا بلنسكى .

— اوه .. دعك من المراوغة وصارحنى بالحقيقة .

وقطب اولنين بجيبينه ، ولكن بلنسكى ابتسم فى مكر وقال :

— هلم صارحنى ؟ هل تريد ان تقول انك لا .. لا تستمتع
بوقتك مع فتاة جميلة كهذه .. وانت تسكن معها فى مكان
واحد ؟ .

ولما صمت اولنين ، قال بلنسكى كأنما يحدث نفسه :

— انها انموذج للجمال الكامل .

— نعم .. انها جميلة الى حد مذهل يا بلنسكى .

— حسنا .. وماذا بعد ؟

— ربما تدهش يا بلنسكى حين تعرف الحقيقة . اننى منذ اقمنا
هنا لا اهتم بالنساء ولماذا اهتم بهن والفوارق بينى وبينهن ضخمة ؟
اما ابروشكا الصياد العجوز ، فالامر معه يختلف .. اننا نشترك
معا فى هواية الصيد .

فقال بلنسكى ضاحكا :

— ولكن الامر معى يختلف . ان النساء فى نظرى هن النساء
فى كل مكان وفى اى مكان .. المرأة هى المرأة ، سواء فى موسكو
او فى القوزاق .

فهر اولنين راسه وقال :

— لا يا عزيزى ، اننى لابعث بالنساء فى موسكو ولكننى
لا احترمهن .. اما نساء هذه القرية فانى اشعر نحوهن بالاحترام
الكامل .

— حسنا .. استمر فى احترامك لهن .. ولن يمنحك احدا

ولم يجب اولنين . وكان يبدو عليه انه يريد الاستمرار فى
الاعراب عن رايه بالنسبة للمرأة القوزاقية .. ومن ثم استطراد
يقول :

— اعرف اننى شاذ فى تصرفاتى امامك . ولكن الحياة هنا
جعلتنى اعتنق ميادىء معينة اهمها الحصرص على احترام نفسي

واخترام غيرى ، وهذه المبادئ تملأ قلبى بالرضا والنفطة . ولو
اننى سرت فى طريقك . لغدت هذا الشعور بالسعادة . وعندما
هذا فاننا اطلع الى شئ مختلف ، وقد وجدت هنا لونا مختلفا من
الوان الحياة وهذا مالا تراه انت .

ورفع بلنسكى يديه فى عجب وقال :

- على كل حال ارجو ان تحضر الوليمة الليلة وستكون ماريا نكا
معنا . وتأكد انى سأعرفك بها . وارجو الا تتخلف . ويمكنك ان
تصرف فى اى وقت اذا شعرت بالملل . . فهل ستأتى ؟
- نعم . . ولكننى اصارحك بانى أخشى على معنى من الوفوع
اقى الحب .

فضحك بلنسكى عاليا وقال :

- اها ! سوف ارعاك واحرسك . . فهل ستأتى ؟
- سأحاول . .

- اوه . . ماهذا بحق السماء ؟ لماذا تعينى هنا كالراهب
يا أولتى ؟ ايلقى ان ترهب فى قرية زاخرة بالجميلات المائى ؟ .
لماذا نقتل حياتك وتحرم نفسك مباحها ؟ هل سمعت ان فرقتنا
سوف تنتقل الى نوزدشك .
فرد أولتى قائلا :

- لا لم اسمع ! وانما سمعت فقط ان القرقة الثامنة هى التى
تنتقل الى هناك .

- لقد تلست رسالة من رئيس اركان القيادة العليا يخبرنى
اقبها ان فرقتنا سوف ترسل الى ميدان القتال فى نوزدشك . وانى
سعيد بهذا ، لأنى ضقت ذرعا بحياة الخمول والركود هنا .
- لقد سمعت اننا نستعد للقيام باغارة قريبة ا .

- اننى لم اسمع بهذا ، ولكننى علمت ان كردنوفز ال وسم
القداسة حنة لحسن بلانده فى الاغارة السابقة . وكان المكين شمنى
ان يرفى الى رتبة بوزباشى . . ومن ثم ذهب الى قيادة الجيش .
واستمر بلنسكى فى الشرقة حتى انصرف .

وعند اقتراب المساء ، تحولت أفكار أولئين الى الحفلة التى دعاه اليها سديبه الامير . واستبدت به الحيرة . كان يريد ان يذهب وكان فى الوقت نفسه يخشى ان يبدو مغربيا منطويا على نفسه . . . وكان يعلم ان مثل هذه الحفلات لا يحضرها الرجال او النساء والمخاتر ، وانما الغنيات فقط . فكيف ستكون وكيف سيتصرف خلالها . . . وماذا سيعمل ، وعن اى شيء سيدور الحديث وكيف سيتصرف مع هؤلاء العذارى الفوزانيات الوحشييات . . . واذا حضرت ماريانكا . فماذا يقول لها ، وكيف سيتصرف معها ، ايمكن ان يوطد علاقته بها رغم نفورها منه . ان بلنسكى يؤكد له ان المرأة هي المرأة . . . فى موسكو ، او فى القوزاق ، فهل يذهب ليرى مقدار ما فى هذه الآراء من حقيقة ؟

وخرج من الكوخ مرتديا اجمل ملابس . ولما وصل فى مسيره الى بيت بلنسكى لم يسمعه الا ان يدخل .

وكان كوخ بلنسكى يشبه تماما كوخ أولئين . كان يقوم على دعائم خشبية يرتفع عن الارض نحو خمس اقدام ، ويتكون من غرفتين الاولى تحوى - كما لاحظ أولئين عند دخوله - على حشايين من الريش ووسائد وسجاجيد منسقة فى جوانب الغرفة بلون جميل ، وعلى الحدران راي الاسلحة ، والاولاي النحاسية معلقة ، ونحت احدى الارائك شاهد كمية من البطيخ والشمام . اما الغرفة الاخرى فكان بها فرن كبير ، ومائدة ، واريكتار وبعض الاموات المطلبية بالوان زاهية . وكانت هذه الغرفة هى المخصصة لاقامه بلنسكى ومن لم يكن يضع فيها سريره الصغير وحوائبه وحاجات السفر .

اما بلنسكى نفسه فكان راقدا فى سريره ، مرتديا قميصا وسراويل ، وبفرا كتابا فرنسيا . وما ان وقعت نظراؤه على أولئين حتى وثب وقال هاتفا مرحيا :

- آه . . . لقد جئت ! اترى كيف امش يا صديقى ؟ لا بأس . . . آه اننى سرور بحضورك . . . وبهذه المناسبة احرك ان الاستعدادات للحفلة قائمة على قدم وساق . ان العطاير الفورانية شبيهة المذاق انها محشوة باللحم والريب ، انظر الى مايجرى فى كوخ اوسنكا

وتنظر لوانين من النافذة ، وراى عددا من الفتيات يهرعن الى
الكوخ وهن حاملات الاوبىه والاولادى واطباق الطعام والشراب .
وصاح لمنسكى قائلا هن

- هل اعددتن كل شىء بائنا ؟

وردت اوستنكا قائلة :

- بعد لحظات اخرى .. عل « بابا » حائج .

ثم اقبلت الى غرفته بجسمها الممتلئ . وقد شعرت عن مساعدتها
لتحمل بعض الاولادى .. ولما حاول لمنسكى ان يداعبها ، راعتمه
وهى تضحك قائلة :

- حذار يا « بابا » .. ان الاولادى قد تقع من يدي .

ثم قالت لاولنسى وهى مسرعة من الضحك

- يحسن ان تاتى وتساعدنا فى الامداد . ولا تنس ان تحضر
معك بعض الحلوى للبات .

وكانت تعقد مالحوى فطائر الزنجيل والبولبون .

- وهل حضرت ماربانكا ؟

- نعم .. طبعاً .. وقد حضرت لنا معها بعض المكسرات .
وقال لمنسكى لاولنسى بعد انصراف اوستنكا :

- اعرف لو انتى جعلت اوستنكا برئدى وتترين على نعط
النساء فى موسكو ، لبدت بهن واحمل منهن جميعاً . ارايت تلك
المرأة القوزاقية التى تزوجها الكولوسل بورشيف انها اردوع من ملكة
فى جمالها وعظمتها .
فرد اولنسى قائلاً :

- انتى لا اعرف زوجة بورشيف ، ولكنى لا اعتقد ان المرأة
القوزاقية ندية احمل وانهر فى ملابس اخرى غير ملابسها الوطنية
هذه .

وقدند لمنسكى فى ارتياح وقال :

- انتى سعيد بقدرتى على التكيف مع اى لون من الوان الحياة
حسناً سوف اذهب وارى ماذا يفعلن .
ثم مضى وقال وهو يسرع بالخروج :

- ولا تنس أنت ان تحضر معك الحلوى .
وقدم أولتين مبلغا كبيرا لجندى المراسلة الخاص ببلنسكى وطلب
منه ان يشترى كمية من فطائر الرحييل والبونبون ..
وساله الجندى قائلا :

- كم فطيرة زنجيل اشتريتها وكم فطيرة بعمل النحل ؟
- اشترى اى عدد تشاء .
- هل انفق المبلغ كله ؟
- نعم .. كل المبلغ .
- وجلس أولتين الى النافذة يرقب مابحرى فى كوخ اوستنكا .

وكان يسمع من مكانه رنين ضحكات الفتيات وهن يتسابقن
الى اعداد الحملة وقد ازداد ضحكهن عندما رآهن يتردن بلسكى
من الكوخ . وعاد الشاب يضحك عاليا ويحدث أولتين بما فعله معهن
وبعد لحظات ، اقبلت اوستنكا بكل وفار ودعت الشابين الى الحفلة
قائلة ان كل شىء قد تم اعداده .

ولما دخلوا الكوخ الآخر ، وجد أولتين ان كل شىء قد تم اعداده
حقا .. كانت الخنايا والوسائد موضوعة بجوار الجدران فى
تنسيق جميل ، وكانت المائدة المنخفضة فى وسط الغرفة تحمل
اوعية النبيذ والكنوس والعطائر المختلفة والوان من الاسماك المجففة
واللحوم الباردة . وفى ركن من الغرفة ، بجوار الفرن ، كان ثمة
صت فتيات فى ملابسهن الحربية الزاهية ، وبلا عصايي على
رءوسهن ، يتبادلن الاحاديث والضحكات .

وقالت اوستنكا لضيوفها :

- ارجو ان تشرفونى وتتقدموا الى المائدة .

ولما رأى أولتين مارياتكا بين الفتيات - الجبهلات جيبا - شعر
بالحرج الشديد ولم يدر ماذا يقول . ومرة اخرى احس انه غريب
فى هذا المكان . ولكنه قرر ان يقلد بلسكى فى كل مايقول او يفعل
وتقدم بلسكى نحو المائدة فى وفار ، ورفع كأسه ليشرب نخيب
اوستنكا ، ثم دعا الفتيات ليشربن معه . ولكن اوستنكا قالت :

- ان النقايد تمنع الفتيات من شرب النبيلة فى هذه الحفلات

وهنا قالت الفتيات بصوت جماعى :

- ولكننا لايجد باسا من ان نشربه ممزوجا بمسل النحل .

وفى تلك اللحظة اقبل جندى المراسلة بحمل لفائف كبيرة من
القطاير والحلوى ، واستقبلته الفتيات بالهتاف والترحيب ، وسرعان
ما اخذ اولنين يوزع عليهن هداياه ، وبعدها اخذت الفتيات والسبايا
ياكلون ويشربون ويتبادلون القزل والضحك .

ورغم هذا كله ، فقد ظل اولنين يشعر بالحرج والارياك كلما
بلاقت نظراته بنظرات مارياتكا .

الفصل الثاني عشر

شافر على صبا ماريانكا

قال بلنمكي لماريانكا بعد ان فرغوا من الطعام
- ماريانكا .. كيف لم تتعرفني حتى الان بنزيلكم اولئين ؟
فقلت ماريانكا وهي ترسل نظراتها الى اولئين !
- وكيف انعرف عليه وهو لم يحاول ان يزورنا يوما ؟
وجفل اولئين واضطرم وجهه ..
وقال بلا تفكير :
- اتنى ما زلت خائفا من والدتك منذ استقبلتني اول مرة ..
فانفجرت ماريانكا ضاحكة وقالت :
- اذن فانت خائف منها ؟
لم استدارت عنه .
وكانت اول مرة يرى فيها اولئين وجهها كله ، دون ان تخفى
بجانبها منه بمندبلها ، ومن ثم ادرك فورا لماذا تسمى في القرية ملكة
بجمال النساء .
ولما استدارت عنه ، شعر بالضيق ، وقرر ان ينصرف ، ولكن
بلنمكي امسك بذراعه وقال له محتجا :
- الى اين باصديقي ؟
فقال مراوغا :

• لا شترى بعض النبع •

• انتظر وسوف ارسل الجندي التابع لى لشراء ماتريد •
ثم همس فى اذنه قائلا :

• لا تنصرف الآن .. لسوف نضع نقودا فى اناء اوستنكا العضى
بعد كل كاس نشربها .. هذا هو التقليد المتبع .. لان الليلة عيد
ميلاد اوستنكا •

وقال اولنين بنفس الصوت الخافت :

• خذ كل مالى من نقود وضع فى انائها ماتريد بدلا منى ..
لقد شربت كفايتى •

• لا .. اذا انصرفت الآن فسوف تكون موضع احتقار الجميع •
ولم يسمع اولنين الا ان يبقى ، والا ان يشرب النبيذ على الطريقة
القوزاقية المبعة فى مثل هذه الحفلات ، اى من حافة الوعاء الخشبي
الكبير مباشرة • وسرعان ما اتشى بالخمر ، فشئ حرجه وارتيابه ،
وشعر بالرغبة فى الاندماج مع بقية المدعوين ومبادلتهم الحديث
والضحك •

وقال بلنسكى وهو يمسك بمعصم ماريانكا :

• على يا ماريانكا .. لقد جاء دورك لتقديم البنا الخمس
والقبيل •

فتظاهرت ماريانكا بلكم بلنسكى على وجهه وهى تضحك
قائلة :

• هذه هى قبلايتى •

وقالت احدى الفتيات بصوت كتفريد البلبلا :

• ان «بابا» مسووح له باخذ «بلة» دون ان يدفع الثمن •
فامسك بها بلنسكى وقبلها رغما عنها وهو يقول :
• اذن لا بد لك ايها الحسناء الصغيرة •

ثم استدار الى ماريانكا واردف قائلا :

• هلمى يا ماريانكا .. قدمى كاما لتزيليكم •

ثم امسك بيدها وقادها الى الأريكة التى جلس عليها اولنين •
ويجملها بجلس بجواره ، ثم ادار وجهها بيده نحو صديقه وقال له :

— ألا ترى ؟ اليس ترموا للجمال ؟

واستجابت ماريانكا لتصرفات بلنسكى ، وراحت تنظر الى اولئين وهى تبتسم فى زهو وكبرياء .

وعاد بلنسكى يقول :

— انها الجمال الكامل .

وكانت نظرات ماريانكا تقول بوضوح :

— « نعم . . ألا ترى الى اى حد انا جميلة ؟ »

ودون ان يعرف ماذا هو قاعل ، القى اولئين ذراعيه حول ماريانكا وحاول ان يعبلها ، ولكنها تخلصت منه بسرعة . واندفعت نحو الفرن وحصدت بلنسكى واسقطت الكاس من يده . وارتفعت الضحكات اقوى جوانب الغرفة ، وهمس بلنسكى شيئا فى اذان الغتيات . ، ، ،
فاندفعن معه الى باب الغرفة واغلقنه ووقفن معه خارجه ليمنعن ماريانكا من الخروج .

وسال اولئين قائلا :

— عجباً ! لماذا تسمحين لبلنسكى بتقبلك ولا تسمحين لى ؟

— اتنى لا اريد هذا . . وهذا كل شئ .

لم تقطع جبينها ورفعت راسها واردفنت مائلة :

— انه « بابا » لنا جميعا .

ثم اتجهت نحو الباب المغلق ، وراحت تدق عليه بقيضضها وهى تهتف قائلة :

— لماذا تفلقن الباب ايها الشيطانات ؟

وقال اولئين وهو يقترب منها :

— حسنا . . دعى الجميع خارج الغرفة . . ويكفى ان ابقى انا
وانت ليهما . . بمفردنا .

وتقطبت مرة أخرى جبينها ، ودفعته بعيداً عنها بقوة ، لم وقتك
كفى كبرياء ولحد ما جمل أولئين يسترد صوابه ويحجل من تصرفاته
ومضى الى الباب يدق عليه قائلاً :

- بلنسكى .. افتح الباب ولنضع حدا لهذه الحماقات .

ولجأة اطلقت ماريانكا ضحكة عابثة وقالت :

- اذن فانت خائف منى .

- نعم .. انك حادة الطبع مثل والدك .

- حسناً .. اسمع ما ساقوله لك .. استمر فى انفاق وقتك
اكله مع المجوز ابروشكا .. وبذلك سوف يزداد حب اليات لك
يوماً بعد يوم .

وكانت قد اقتربت بوجهها من وجهه ، وركزت بصرها فى عينيه
وهى تبسم . ولم يدرك هو ماذا يقول .

ولكنه تمتم منلعنما :

- ولنفرض اننى جئت ذات يوم لزيارتكم .. فهل ..

فطوحت براسها وقالت :

- ان الامر عندئذ سيختلف .

وفى تلك اللحظة فتح بلنسكى الباب ، فوثبت ماريانكا بعيداً
من أولئين الا انها احتكت به وهى تبت .

وقال أولئين لنفسه بسرعة :

« لقد كنت اوهم نفسى بكل هذا الحب بينها وبين ليوكا .. انه
مجرد وهم لا اساس له .. وعلى من ثم ان انصرف كما سعى حتى
لا تغفل السعادة من يدي » .

وبسرعة مفاجئة للجميع ، طوق ماريانكا بذراعيه وحمل جبينها
ووجنتها ، ولم تتراجع هى ، ولم تفضي . وانما امجرت ضاحكة

واسرعت الى خارج الفسقة لتضم الى الفتيات وبذلك
انتهت السهرة .

قال أولئين لنفسه وهو في طريق العودة الى مسكنه ؟
- نعم .. اذا لم اقبض بيد من حديد على زمام عواطفى ، فمن
المحتمل ان اتع فى شرك الحب مع هذه العذراء الغوزاقية الساحرة .
واوى الى فراشه وهذه الفكرة براودة : وكان يتوقع ان يتلاشى
هذا الاحساس كله فى الصباح ، ومن ثم يستأنف حياته الهادئة
الرتيبة كما كان يفعل من قبل . ولكن هذا لم يحدث . لقد تطورت
علاقته بماريانكا : وبدا كأنه الجدار الذى طالما فصل بينهما قد انهار ،
وأصبح أولئين قادرا على ان يبادل معها عبارات النجوة كلما
التقى بها .

ولما اقبل والدها لياخذ ايجار الكوخ ، وكان قد علم بشراء هذا
التزل المبسوط البد ، أسرع ودعاه لزيارتهم . واستقبلته الام
المعجوز فى عطف وترحاب . ومنذ ذلك الحين اخذ يزور الاسرة
ويجلس مع أفرادها حتى ساعة متأخرة من الليل . وكانت حياته
- ظاهريا - فى القرية لا تكاد تختلف عما كانت عليه من قبل ، اما
أقوى الحقيقة ، او فى أعماق نفسه ، فكار كل شيء قد اختلف الى
حد بعيد . كان يقضى ساعات النهار كل يوم فى القاعة : ثم يعود
الى الثامنة الى مسكنه ، وبعد ان يفتسل ويفرغ من وجبة العشاء
يمضى لزيارة اسرة ماريانكا ، بمفرده أحيانا .. وأحيانا مع الصياد
المعجوز ابروشكا . وسرعان ما تعودت الاسرة زيارته هذه بحيث
أذا تخلف ليلة ، سأل عنه الوالد ، او الوائدة للأطمئنان عليه . وكان
أقربا مبسوط البد فى معاملاته ، وكان فايوشا يحضر اليه فى اثناء
زيارته للأسرة : الشاى ، وكان هو يجلس فى ركن الغرفة على حشية
من الريش بجوار الفرن ، وكانت الام المعجوز تضى فى عملها لئلا
أزعاج .. ومع الشاى ، او النيلة ، كانت الأحاديث تدور حول
تسون القرية او اخبار الجيران .. وأحيانا كان أولئين يجيب عن
أسئلتهم ويخبرهم بما يعرف من الحياة فى روسيا وفى أحيان أخرى

اكان ياتى معه بكتاب ويقرأ . وكانت ماريانكا - كالغزال البري -
 تقبع فى ركن آخر ، او فوق الفرن ، ولا تسترك فى الاحاديث .
 ولكن اولئين كان يرى عينيها ووجهها ويسمع حركاتها وقرقرتها للبحر
 القرق العلى ، ويشعر انها تنصت اليه بكل كيانها كلما تحدث .
 كما كان يحس بوجودها دائما كلما راح يقرأ كتابا لنفسه ، وفى بعض
 الاحيان كان يخيل اليه ان نظراتها مركزة عليه ، فاذا التقت عيونهما
 سكن فى موضعه وركز نظراته عليها ، وعندئذ كانت تسرع وتشيح
 بوجهها فى ارباك ، وينتظر بالاستغراق فى الحديث مع الام المعجوز
 وان كان فى الحقيقة مرهف السمع الى كل حركة تبدو من ماريانكا
 منتظرا ان تعيد النظر اليه لى تتلاقى عيونهما مرة بعد الاخرى .
 فاذا حضر زائرون آخرون ، دانا تخرج من عزلتها وتسترك فى
 الاحاديث والضحكات ، وتغدو ودودا طروبيا . وكان اولئين يشعر
 بسعادة بالغة كلما رأى بريق الرضا يلعب فى عينيها حين تلتقى به
 فجأة فى فناء الكوخ او فى القرية .

وكان هو لا يريد منها شيئا ، ولا ينتظر ان ينال شيئا . . ولكن
 احساسه بأهمية وجودها فى حياته كان يرداد يوما بعد يوم .

ومن ناحيته هو فقد غدا يشعر انه اندمج فى الحياة القوزاقية
 اندماجا جمل ماضيه يبدو غريبا منه . واما عن المستقبل ، فانه لم
 يكن يهتم اطلاقا بأى مستقبل خارج حياته فى هذه القرية . ومن
 ثم كان يشعر بأشد الاستياء والاستنكار كلما قرا رسائل اهله
 واصدقائه اليه . . تلك الرسائل التى يكونه فيها ويعتبرونه مفقودا
 او مينا ، هذا على حين كان يشعر فى قرارة نفسه ان هؤلاء الاقارب
 والاصدقاء هم المفقودون وهم المتون ، لانهم لا يهتمون بهذه الحياة
 الراضية بالأمن والسلام ، التى يحياها فى القرية القوزاقية .

وكان دائما نادما على قطع كل الوشائج التى
 تربطه بحياته القديمة . ذلك لانه كُن يستمتع بحياته العسكرية ،
 وبالصيد فى الغابة ، وبالحديث مع ابروشكا الصياد المعجوز .
 وبالقرب من ماريانكا .

انه هنا يزداد مع كل يوم احساسا بالحربة وبالرجولة .. وقد
 ثبت له ان القوزاق يختلفون تماما عما كان يظن او يسمع . انهم
 ليسوا همجا او متوحشين ، وليسوا اشرارا او ابطالا .. وانما هم
 - كما عرفهم عن قرب - قوم يعيشون على الطبيعة - انهم يولدون
 ويموتون ، ويتزوجون وينجبون ، وينحاربون ، ويأكلون ويشربون ،
 ويمرحون ويتبادلون الحب .. كل هذا دون ان يفرض عليهم من
 القيود اكثر مما هو مفروض على مظاهر الطبيعة .. على الشمس
 والقمر ، على العشب والظل ، على الزهرة والثمرة .. انهم لا يخضعون
 الا لقوانين الطبيعة .. ولهذا فهم - اذا قارنهم بنفسه - اجمل
 واقرى ، واكثر حربة ، وان النظر اليهم فيجعل اولين يشعر بالاسف
 على نفسه .. كثيرا ما كان يخطر بباله ان يبيع كل ممتلكاته ..
 وينضم للجيش القوزاقي بصفة نهائية ويشترى كوخا جميلا ومزرعة
 كبيرة . وقطعا من الماشية ، ويتزوج بفتاة قوزاقية « لا تكون
 ماريانكا التى يحبها ليوكا » ثم يقضى كل يوم مع ايروشكا لصيد
 السمك او الحيوانات والطيور البرية ، ويشترك مع القوزاقيين فى
 حملاتهم العسكرية .

وكثيرا ما كان يقول لنفسه :

- لماذا لا افعل هذا ؟ ماذا انتظر ، هل انا خائف من ان افعل
 الشيء الذى اراد معقولا وصوابا ؟ هل الرغبة فى ان اعيش بباطة
 - مثل اى مورافى - فى حضن الطبيعة ، لا اؤذى احدا وانما اسدى
 الخير للجميع .. هل رغبة كهذه تعتبر عملا طائشا او املا سخيفا
 مثل امالى الصبيانية السابقة فى ان اكون وزيرا او قائدا عاما
 للجيش .

ومع هذا كان يسمع فى قرارة نفسه صوتا يهمس له بوجوب
 التريث فى احوال مثل هذه الخطوة . وكان هذا الصوت تابعا من
 تفكيره فى انه لا يستطيع ان يحيا كما يحيا ليوكا او ايروشكا .. لان
 آراءه فى السعادة تختلف من آرائهما .

كان رابه في السعادة انها لا تكتمل الا بانكار الذات والتضحية
بالمصالح الشخصية والمآرب الداوية من اجل الغير . . وان هديته
التي قدمها لليونكا لكي يسهل له امر الزواج من ماريانكا قد ملأت
قلبه بالرضى والسعادة . وانه من ثم ليبحث عن الفرص التي تتبع
له اسعاد الغير . ورغم لحظات الضعف التي كانت تقربه بان يعيش
كما يعيش ليوكا او الصياد ايروشكا ، الا انه كان دائما يحلق في
سماوات انكار الذات وينظر من مكانه الرقيق في هدوء واطمئنان
الى الناس والى ما ينبغي ان يفعل من اجل اسعادهم ا .

الفصل الثالث عشر

المطبخ

أقبل ليوكا راسا جوادا لزيارة أولتين قبل موسم الحصاد بإيام قليلة وبعد ان سادلا التحية بمودة واخاه .
قال له أولتين :

- متى سبتم زواجك .

ولم يحب ليوكا فورا .. وانما قال مشيرا الى جواده ا
- اترى هذا الجواد الجديد الذى استبدلته بجوادك ..
اليس رائعا ؟

وفحص لانتان الجواد الجديد ، وكان رائعا فعلا .. ولم يستفزع أولتين ان يملك نفسه من الاعجاب به .. قائلا انه لم ير فى حياته جوادا احسن منه .

وربت ليوكا عنق الجواد وقال :

- وهو ذكر ايضا .. يتبعنى اينما سرت .. ولا يلحق به جواد آخر .

- هل دعت مبلغا كبيرا فى سبيل الحول عليه ؟
وابتمس بيوتا قائلا :

- اننى لا ادرى .. لقد جاملنى فيه صديق ..

- انه جواد رائع فعلا .. مدهش ، بكم تبيعه ؟

- لقد مرضت على مائة وخمسون روبلا لعناله . ولكننى على استعداد لان اقدمه هدية خالصة لك .. اطلبه وانا اميه لك ..
ويمكنك ان تعطبنى بدلا منه اى جواد عجول عندك .
نهتف اولئين قائلا :

- لا .. لا .. انتى لا اقبل هذا حق السماء ..

فتناول ليوكا من حزامه خنجرا من طراز فاخر وقدمه الى
اولئين قائلا :

- اذن ارجو على الاقل ان تقبل هذا الخنجر هدية منى .. لقد
ظفرت به من الضفة الاخرى من النهر .. من بلاد التتر .
- شكرا جزيلا يا صديقى .

- وقد وعدت امى ان تقدم اليك كمية كبير من العنب عثك
الحصاد ..

- لادامى لذلك .. لسوف نوى كل شئ بيننا يوما .. ثم
اتنى لن ادفع لك تمنا لهذا الخنجر .. اليس هذا ماتريد ؟

- نعم .. نعم ، اننا صديقان حميمان ، تماما كما هو الشأن
مع صديقى جبرى خان . لقد اخذنى الى بيته وطلب منى ان اختان
اية هدية اريد وقد اخبرت سفا تتربا من النوع القصير .. الممتاز .
ودخل الاثنان الكوخ ليشربا بعض النبيذ .
وقال اولئين :

- هل ستمكث هنا طويلا ؟

- لا .. لقد جئت لاودعك فقط . انهم سيقومون بحملة
مكرية عبر نهر نيريك وسنمضى الليلة ، وسيكون صديقى نازار
معى ..

- ولكن ماذا عن الزواج ! متى سينم ؟

فرد ليوكا فى غير اهتمام :



- لسوك احضر في اجازة قصيرة لالمام الخطة . ثم اعود الى كورتي ..

- ولكن .. الى تذهب لزيارة فتاتك اليوم ؟

- وما فائدة هذا ؟ حسنا ! عندما تقوم مع فرقتك بحملة عسكرية عبر النهر ، فلا تنس ان تسال عن ليوكا .. ليوكا الشجاع وعندئذ سوف اصحبك الى رحلات لصيد الخنازير البرية ، اننى اعرف مواطنها .

- حسنا يا ليوكا .. وداعا ، وليكن الحظ معك .

واعتلى ليوكا ظهر جواده ، وانطلق في الشارع دون ان يلتفت لقفرة على كوخ ماريانكا .. ولم يلبث ان انضم الى سديقه نازار الذي كان في انتظاره .

وفال نازار وهو يومئ براسه الى كوخ يامكا ، صاحبة الحانة :
- هه ، ماريك ؟ .. هل ندخل ؟

- آه .. لا بأس .. خذ جوادى هذا اليها ، واذا ثم احضروا بسرعة : يمكنك ان تقدم له بعض المشرب .. وسوف انضم الى الفرقة غدا صباحا .

- وماذا عن صاحبا الرومى .. هل ظفرت منه بشئ جديد ؟

- لا .. وقد نجوت لحسن الحظ بجوادى منه .. كان يريد ان ياخذ ..

ثم برجل عن الجواد ، وسلم عناته لنازار قائلا :

- اذهب به الى يامكا .. اما انا فسوف امضى اولا الى ماريانكا .

وسلك - دون ان يراه احد - عائدا الى نافذة كوخ ماريانكا ؟ وهناك راها فى الفرة الامامية واقفة امام المراة تنزبن استعدادا للزوم ..

وهمس لها قائلا :

- ماريانكا .. اننى ليوكا .

واشرق وجه ماريانكا بالسعادة حين سمعت صوته ، وامرمت الى النافذة ورفعت مصراعها . همست قائلة فى حوب ولهفة :

— آه .. ما هذا ؟ ماذا تريد يا ليوكا ؟

— اسمحي لي بالدخول لحظة واحدة .. اننى اكاد اموت شوقا اليك .. لم يعد فى مقدورى الصبر اكثر من هذا .

ثم جذب راسها من النافذة وقبلها بحرارة قائلا فى نفس :
— افتحي لى الباب .. ارجوك .

— انك تضيق وقتك سدى .. منذ متى وانت تنتظر ؟

ولم يجب .. وانما استمر فى تقييما .. وكان يهمس فى لهفة :

— اتريين ؟ اننى عاجز حتى عن عنافك بسبب ضيق هذه النافذة .

وعندئذ سمع الاثنان صوت الام الحزوز وهى تقول :

— ماريانكا ! مع من تحدثين يا حبيبتى ؟

ورفع ليوكا قلنسوته التى قد نكسها .. وفتح نحت النافذة فى سكون ، على حين همست له ماريانكا قائلة :

— انصرف .. بسرعة .

ثم رفعت صوتها وقالت لامها :

— انه ليوكا يا امه .. كان يريد ان يرى ابى .

— حسنا .. دعيه يدخل .

— لقد انصرف .. قال ان وقته ضيق .

ومضى ليوكا بعيدا ، وهو لا يزال منحبا ، واتجه نحو كوخ بامكا دون ان يراه احد غير اولئتين . وفى كوخ بامكا ، شرب مع نازار زجاجة او اثنتين من النبيذ الاحمر قبل ان يخرجها من القرية . ومضى الاثنان فى طريقهما يرفرف عليهما الضممت ، ونجاة رفع ليوكا عقيرته بالفناء .. وبعد ان فرغ من العقرة الاولى ، اتجه الى نازار وقال له :

— اتعرف ! لقد ابت ماريانكا ان تسمع لى بالدخول .

— اوه .. كنت اتوقع هذا . لقد قالت لى بامكا ان صاحبنا

الرومى بدا يزور اسرتها وان ابروشكا المعجوز يشبع فى القرية

انه سستظفر من الروسى ببندقية جديدة عندما يساعده على الظفر
يقلب ماريانكا .

فصاح ليوكا قائلاً فى غضب :

— آه ، بها لذلك الشيطان العجوز . . انها ليست فتاة من هذا
النوع . . وعلى ذلك الروسى ان يحذر ، والا حطمت ضلوعه .

ثم اطلق برودا غثينه المحبوبة :

« من قرية اسماعيلوف . .

« ومن بستان السيد المحبوب . .

« طار ذات يوم — بازى — خفيف الجناح . .

« ومن ورائه أسرع الصياد الشاب . .

« وراح يلوح للباذى الجميل بيده اليمنى .

« ولكن البازى الجميل اجاب قائلاً :

« ان تفصك الذهبى لن يضمنى ابدا .

« وان يدك اليمنى لن تمسك بى ابدا .

« وانما انا ساطير حرا الى البحر الأزرق .

« وهناك ساطفر بجعة بيضاء . . بيضاء . .

« ومن لحم البجعة البيضاء ، ساملاً معدنى .

واقم الاحتفال بالخطبة فى بيت والد ماريانكا . وكان ليوكا
قد حضر فى اجازة قصيرة الا انه لم يذهب لزيارة أولتين . . ولم
يذهب أولتين ليشهد الاحتفال بخطبته على ماريانكا وذلك برغم انه
كان احد المدعويين اليه . . كان يشعر بالحزن بعنصر قلبه . . ومن
ثم اغلق باب الفرقة على نفسه ، وراح يكتب فى مفكرته :

« لقد فكرت فى اشياء كثيرة فى الآونة الأخيرة ، ولكننى برغم
تفكيرى هذا لم اتزحزح عن ايمانى بان الطريق الوحيد الى السعادة
الحقة الكامنة هو ان يحب الانسان ، ان يحب ويحب منكرا ذاته . .
ان يحب كل الناس . . وكل شيء . . أن يظلل بالحب كل الذين
حولهم . . وقد ظلت بالحب فانبوشا ، وايروشكا ، وليوكا ، وماريانكا

وما كاد يفرغ من صارته الأخيرة ، حتى أتل عليه الصياد
المعجوز ابروشكا وهو فى حالة انتشاء ، حاملا معه آلة البلايكا
الموسيقية ، فلما رأى أولئين مشغولا بالكتابة قال له هماما كأن
هناك روحا ترقرق على الفرقة :

- استمر فى الكتابة بأولدى .. وسأجلس أنا على الأرض
بجانبك فى صمت ..

وأمر أولئين تابعه فانبوشا بإحضار بعض النيل الأحمر
لابروشكا ، ولكن الصياد المعجوز لم يكن راغبا فى الشرب بفردة
وأما كان ملهوبا الى التحدث مع شخص ما وهو فى هذه الحالة
من النشوة .
وهممر قائلا :

- لقد ذهبت الى الحفلة .. ولكن حوها لم يعجبني .. أنهم
لخنازير جميعا ، ولهذا فضلت الحضور البك .
وقال له أولئين وهو لا يزال يكتب :
- من أين جئت بالبلايكا ؟

- كنت فى الضفة الأخرى من النهر ، وحصلت عليها من أخ
لى هناك . لننى بارع فى العزف عليها .. ويمكنى ر اغنى عليها
الأغاني القوزاقية أو التنرية .. اغنى السادة أو الرعاع .. أستطيع
أن اغنى عليها أية أغنية تريد .

ورفع أولئين رأسه وانسم .. وشجب ابتسامته الصياد
المعجوز ، وجملته بقول :

- دمك من الكتابة الآن بأولدى .. اتنى اعرف أنهم جرحوا
اشاعرك . وماذا بهم اضحك فى وجوههم وانسى كل شئ .. ولكن
لاجدوى من هذه الكتابة ..

وضحك أولئين ، وشاركه ابروشكا فى الضحك ، ثم ونب
وتناول آلة البلايكا ، وراح يردد عليها هذه الاعية التنرية :
« اتنى وقعت فى الحب يوم الاثنين ..
« وتعديت طوال يوم الثلاثاء ..

- ❖ وقدمت السؤال يوم الأربعاء .
- ❖ وانتظرت طوال يوم الخميس .
- ❖ وجاءت اجابتها يوم الجمعة .
- ❖ وضاع كل امل لى .
- ❖ وقررت بكل عزم وقوة . .
- ❖ لا ان انهى حياتى يوم السبت .
- ❖ ولكنى غيرت رايى يوم الأحد .

واندفع ابروشكا فى الغناء ، وارتفع صوته عالما ، ومضى الى الغناء الكبير ، وكان كوخ اسرة اربانكا مضاء . واصوات المحلطين وضحكائهم تنساب منه ، وكانت نمة فنيات كثيرات ينحلتن فى الغناء الصغير الداخلى او بدخلن الى مكان الاحتفال او يخرجن منه .

واطلق بعض القوزاق ظلمات نارية فى الهواء احتفالا بالحفلة ، واندفع معهم الى فناء كوخ اولين وراحوا يرفضون دقعات فورية عتيفة على غناء ابروشكا ونغمات البلايكا .

وقال له اولين :

- لماذا لم تذهب للحفلة .

فقال العجور بصوت الانسان المنالم من شئ :

- دحك منهم . . دحك منهم . . اننى لم استرح اليهم . علم ندخل الكوخ ونحفل معا احتفالا حاسا .

وفى داخل الكوخ قال اولين :

- كيف حال ليوكا ؟ . . اهو سعيد ؟ . . لماذا لم بات لزيارتي ؟ . فدمدم الرجل العجور قائلا :

- ليوكا ؟ اعرف ماذا قالوا له ، قالوا اننى احاول ان اقدم فتاته لك . وكأنما ليس فى القرية فتاة اجمل منها . وفى مقدورنا ان نحصل عليها اذا شئت . . ادفع مبلغا اكبر مما دفعه ليوكا وسوف يزوجها ابوها منك . ويمكننى ان اقوم لك بهذه الخدمة اذا شئت .

- لا بامدبقي العزيز .. ان المال لا يستطيع ان يفعل شيئا اذا لم تكن تحبشي .. دعنا من الحديث عن هذا الموضوع .

وانفجر المعجوز ابى روشكا ، فجاء بالبكاء وهو يقول :

- نعم .. نعم .. اترك على حق .. انهم لا يحبوننا نحن المساكين التمسكين .. لا احد يحبنا .

وشرب اولئين فى تلك الليلة اكثر من المعتاد وهو نصت الى احاديث الصباد المعجوز التى لا تنتهى . وكان بين الحين والآخر يقول لنفسه فى شئ من العزاء :

- بكفى ان يكون الحبيبان سعيدين .

ولكن الالم الخفى كان يعتمر قلبه .. وقد حاول حاهدا ان يخفف من الالم بالزبد من شرب النبيذ الاحمر .. وكلما شعر ثقلا راسه قال لنفسه مواسيا :

- ان السعادة الحقة هى انكار الذات من اجل الغير .

وانتهز الصباد المعجوز تلك الفرصة السانحة ، فراح يعب من الشراب بلا حساب .. وما لبث ان سقط فاقد الوعي على ارض الكوخ .

وحار فانبوشا فى امره ، ولم يدرك كيف يستطيع التخلص منه بمفرده ؛ لان ميده اولئين لم يكن . من جانبه ، فى حالة تسرع له بمعاونته . ومن ثم استمدى بعض الجنود . وسحوا الصباد المعجوز الى خارج الكوخ ، وعبر فانبوشا عن استنكاره بالبصق على الارض قبل ان يعود الى غرفته للنوم .

الفصل الرابع عشر

الحصار

كان محصول الكروم في ذلك العام وافرا ، ومن ثم كانت الفرحة تملأ قلوب سكان القرية وهم يجمعون الأعناب ، ويتبادلون الأحاديث ويمتلئون الجو ضحكا وغناء .

وفي ظهر ذات يوم كانت ماريانكا جالسة في ظل شجرة خوخ ، تفك لفافة وجبة غذاء الأسرة بعد أن تناولتها من المركبة . وامامها وعلى مفرش من الجلد ، جلس والدها الذي اخذ اجازة من عمله . . . بفصل يديه من ابريق نحاسي ، وشقيقها الاصغر الذي عاد من البحيرة الصغيرة بعد أن غسل فيها وجهه ، والام العجوز وقد شمردت من ذراعها وراحت تاخل من ماريانكا ألوان انطعام وترتيبها على مائدة منخفضة مستديرة ، وكان الطعام مكونا من عناقيد العنب ، والسمك المجفف ، وبعض شرائع اللحم القديبد والقشدة والخبز . وجفف الوالد يديه ، وجلس مترعاً امام المائدة ، وشرب الفلام من الابريق إلى شراة ، وتربعت الام والابنة الى الجانب الآخر من المائدة . . . وكان الجو حاراً خائفاً ، والهواء الساخن المتدفع بين أعواد الكروم يزيده حرارة . وشرب الوالد بعض النبيذ من الابريق ، ثم قدمه الى الام ، وبعدها الابنة ، ثم الابن . .

وقال الوالد فى لهجة تنم من الغبطة والرضا !
- بوى هل سنستطيع جمع المحصول من الكرمة التى
وراء الظلة قبل هبوط الليل ؟
فقال زوجته !

- سكت اذا لم نغطف الامطار .. وهلى كل حال فان ال
يمكن لم يجمعوا بعد نصف محصولهم واومئنا لعمل بمفردها
ولكاد يموت من فرط الارهاق .
- وماذا كنت تتطرين غير هذا !

وقالت الام المحوز وهى تقدم اريق التبيلة لابتها :
- اشربى ماحببى .. واسال الله ان يرزقنا بتكاليف حفلة
واجبك .

فقال الوالد وهو يعطب جبينه قليلا
- لانزال فى الوقت متسع للتفكير فى هذا الامر .
واطرقت مارباتكا براسها .. علم حين قالت الام فى اصرار ؟
- ولماذا لا تحدث عنه الآن فقد لم كل شىء .. ولم يبق الا
ان تفكر فى معات التنفيد .

- لادامر للتفكير فى المستقبل . علينا اولان نفرغ من جميع
المحصول .
وقالت الام المحوز :

- هل رابت جواد ليوكا الحديد اانة لس الجواد الذى اهداه له
نزلنا .. وانما هو جواد آخر ..
فقال الوالد :

- لا .. لم اره بعد . ولكننى تحدثت اليوم مع فابوشا التابع
وعلمت منه ان سيده تلقى الفرويل مرة اخرى .
فاومأت المرأة العجوز براسها قائلة :
- انه مصوغ من المال .. لاشك فى ذلك .

وكانت الاسرة كلها تشمر بالسعادة والرضا ، اذ كان العمل
يجرى باطراد وكان المحصول وافرا والعنب من صنف ممتاز .

وبعد الفراغ من طعام الغداء ، وضعت ماريانكا كفة من المنسج
أمام الثيران ثم اسلمت في ظل المركبة ، ونامت تسويج في فترة
القبولة ولكنها لم تستغرق في النوم فورا ، وانما راحت تفكر في
ليوكا . وفي يوم الزفاف ، دهشت حين وجدت نفسها لا تمحلا
هذا اليوم . . ولم تلبث ان ادركت السر في هذا . . ادركت انها
سعدة باهتمام أولئك بها . . سعدة بنظراته السر سم عن حبه
الكبير لها . .

فلماذا تتعجل الزواج من ليوكا !! .

وقبل ان تستغرق في النوم . اقبلت صديقها 'اوستنكا' اليها
ورقدت بجوارها في ظل المركبة ، ثم اذا هي حاضها . تحدثت قائلة :

- ماريانكا . . اعرفني لماذا جئت اليك ؟

فاعتمدت ماريانكا على مرفقها ورفعت راسها بهد ومالت ا
- لا . . لماذا !! .

- اتنى اعرف شيئا عن تزيلكم أولئين .

- وماذا اعرفين ؟

- هل باتى لزيارتك ؟

- وماذا لو انه باتى ؟

- اوه . . لا تقصير منى يا ماريانكا . انتم فتاة بسيطة

وصريحة ولا اودى احدا . لهذا اقول اتنى احبه . . احبه .

- من ؟ بابا يلنسكى ؟

- نعم . . طبعاً .

- ولكن هذه حطبة يا اوستنكا .

- لا يا ماريانكا . . ان هذه هي الفرصة الوحيدة للاستمتاع

بحياتي قبل الزواج . لاننى بعد الزواج سأكون مشغولة بالزواج
والأولاد وامباء البت . انظري الى نفسك انك تستعربين الزواج من
ليوكا دون ان تستمعي بحياتك . .

فقلت ماريانكا :

- ان هناك نساء كثيرات يجدن السعادة الحققة فى الزواج .
- ارجوك ان تصارحين يا ماريانكا .. ماذا حدث بينك وبين
ليوكا .

- ام يحدث بينى وبينه شيء . لقد تقدم لخطبتي ، وارجا ابى
المواصلة لمدة عام واخيرا تمت الخطبة ، وسوف يتم الزواج فى
التخريف القادم .

- ولكن ماذا قال لك ؟

فايتمت ماريانكا وقالت :

- وماذا يمكن ان يقول لى ! قال انه يحبنى ، وتلّ بلع على
لكى اذهب معه الى بستان الكروم .

- آه .. ذلك الحيث ! وهل ذهبت معه ! انه شاب ممتاز على
كل حال . وهو شجاع وحرى ، ويقولون انه يستمتع بحبائه فى
الجيش ، ولكن المعروف انه يحبك اشد الحب .. وماذا ايضا ..
ماذا قال لك ايضا ؟

فضحكت ماريانكا وقالت :

- لا شيء اكثر مما تعرفين . ولكنه جاء ذات ليلة الى نافذة
غرفتى وكان محمورا ، وطلب منى ان اسمح له بالدخول .

- وهل سمحت له ؟

- لا طبعاً . اننى حين اقرر شيئاً لا اراجع عنه .

- ولكنه شاب رائع .. واية فتاة ترحب بطلبه .

فردت ماريانكا قائلة بكبرياء :

- اذن ليذهب الى هذه الفتاة ..

- الا تشعرين بالأسف من اجله ؟

- بلى اشعر .. ولكننى لاحب ان اترك احداً يعبتن عواطفى .
الا ترى هذا .

فاخعت استنكا وجهها فى صدر ماريانكا ، وقالت هامسة :

— انك فتاة باردة العواطف .. انك لا تريد أن تشعري
بالسعادة .

ثم أردفت قائلة وهي « تدقدها » وتضحك :
— ولكنك فتاة سعيدة الحظ ، ان جميع الشبان يهيمون بك
حبا ، ولكنك لا تهتمين بأحد منهم . ولو كنت في مكانك ، للبيت
بعواطف ذلك الروسي الثري .. أولئین .. انه يحبك ويكاد ياكلك
بنظرانه . لو انك تربي الهدايا الجميلة التي يقدمها بابا بلنسكى
الى انا أولئین اوفر ثراء منه . ونال انه اغنى رجل في روسيا
وان تابعه فانيوشا يقول ان لديه مئات من عبيد الارض ،
وانتصبت ماريانكا قائلة :

— اتعرفين ماذا قال لي يوما ؟ اننى اتمنى لو كنت خطيبك ليوكا
او اخاك لازونكا .. فماذا كان يعنى بقوله هذا ؟ .

— اوه .. انه يقول اى شيء يخطر بباله . تعالى واسمعى ما
يقوله لي بابا بلنسكى .

وعادت ماريانكا ورقدت لتنام وهي تقول :

— لقد طلب ان يأتى ويساعدنا في جمع المحصول . وقد رحب
ابى به .. وسوف يأتى اليوم .

سقطت اشعة الشمس عند ميلها في سمت الاصيل ، على
وجهي اوستنكا وماريانكا الراقدين في ظل المروحة . ولما استيقظت
العنانان ، وراحت ماريانكا تنظر حولها رات عند شجرة الكوخ
نزيلهم أولئین واقفا يتحدث الى ابها والبندية على كنفه ولكرت
اوستنكا في جانبها وأشارت اليه باسمه دون أن تقول شيئا .

وكان أولئین يقول وهو ينظر حوله في لهعة دون ان يرى ماريانكا
بسبب تكاثف أعواد النبات :

— لقد ذهبت أمس ولكننى لم أر واحدا منها .

— اوه .. لاشك انك لم تذهب الى المكان الذى وصفته لك ،
لان هذا المكان مملوء بالارانب البرية .

وقحاة قالت الام المجوز ضاحكة :

- وس . . ابلق ان تجرى لتصيد الارانب دون ان تالى
لإعداد السب فى جمع المحصول . .
ثم زدتم صوت مرتفع تقول !
- علم تانات الى العمل . .

وكانت ماريانكا واوستنكا تتهايمان بحوار المركبة وتضحكان
بصوت - حاد حتى لا يعرف أولئین مكانهما . وكان الوالد يسودد
الى الروسى الشاب مند عرف بأمر الهدية التى قدمها الى ليوكا . .
الى الحواد الذى يبلغ ثمنه أربعين روبلا . . وكان يزداد سرورا كلما
راى نتائج المدة تزداد بين الشاب الروسى الثرى وبين ابنته
ماريانكا .

وقال أولسن وقد لمح ثوب ماريانكا الأرقق ومندبها الأحمر !
- ولكنى لا اعرف كيف اقوم بالعمل معكم .
وقالت الام المجوز :
- تعال لا قدم لك بعض الخوخ .
وقال الوالد :

- دعت من هذه المرأة الحمقاء . انها تريد ان ترحب بك على
الطريقة العورافية ولكنكم فى روسيا تقدمون لضيوفكم مربي
الكمثرى وما الى هذا من الحلوى المظهوة .
- لا . . لا شكرا . اننى افضل ان اعمل معكم اولا فى جمع
العنب .

وبدا أولسن يعمل ، وانتهر اول مرحلة انغرد فيها ماريانكا وقال
لها وهو يحاول السيطرة على نبرات صوته .
1 . هذا العنقود لا يزال اخضر وان كان يزن اكثر من ثلاثة
ارطال

- ولكننا نعطيه . .
- ولكن من اين . . هل من هذا الصنف 1 .

واخذت ماريانكا تعلمه كيف يقطع العنقود الكبر وتلامست
أيديهما ، ونظرت اليه باسمه ، وقال لها :

- متى سيتم الزواج ؟

فتظرت اليه فى شيء من الحزن ، ثم اشاحت بوجهه دون أن
يجيب .

وعاد هو يقول :

- هل تحبين ليوكا .

- وما شأنك بهذا ؟

- اننى احده .

- احقا ؟

- نعم . . انك جميلة جدا . .

وامسك بيديها فجاء وقد اضطرم وجهه وخفق قلبه بشدة
وركز نظراته عليها اما هى فقد قالت بهدوء :

- ايا كان الامر ، فانى لست من نصيبك .

ثم اردفت قائلة بعد برهة صمت :

- فلماذا تسخر منى ؟

ولكن عينها كانتا تقولان بوضوح انها تعتقد تماما انه لا يسخر
متها ، وانما هو جاد فى حبه لها .

وقال هو باضطراب :

- اسخر منك !؟

ثم تنهد بعمق واضطرد قائلاً :

- آه . . لو انك تعلمين . .

وشعر ان عبارته هذه سطحية ولا تنفق مع حقيقة شعوره ،
ومن ثم عاد يقول بحرارة :

- اننى على استعداد لان افعل من اجلك اى شيء .

- آوه . . دع يدى ايها الشاب الماكر .

ولكنها باضطرام وجهها ، وتالق عينيها ، وخفتان صدرها
الجميل ، كانت تقول له شيئا آخر . واحس اولئين انها كانت منذ
مدة طويلة تعرف ماذا يريد ان يقول لها ، ولكنها كانت تهفو لان
تسمع منه كيف يمكنه الامراب عن عواطفه تحوها .

وقبل ان يقول لها شيئا ، اذا ناستنكا نقول ضاحكة وهي
واقفة منذ كرامة قريبة ؛

- انت .. هناك .. اولئين .. تعال وساعدنى .. اننى اعمل
بمفردى منذ الصباح .

ولكن اولئين لم يرد ولم يتحرك من مكانه .

وعادت ماريانكا الى عملها فى جمع منافيد العنبي . وكانت
بين الحين والآخر ترفع وجهها الى اولئين وتبتسم . واراد هو ان
يقول شيئا ، ولكنه هز راسه وقرر ان يلتزم الصمت .

ولما اوشكت الشمس ان تغيب ، حمل بندقيته على كتفه ،
واستدار خارجا بسرعة من الكرامة ، وضحكات اوستنكا وماريانكا
تون فى اذنيه .

الفصل الخامس عشر

عذابات الحب

امضى أولنين فترة الغروب فى الفأبة محاولا اصطيد شىء ، ولكنه لم يوفق . وحين عاد الى مسكنه ، رأى ماريانكا فى الفناء وهى تقوم بأعمالها المعتادة قبل أن تدخل كوخ الأسرة لتناول العشاء ، ومضى هو الى كوخه ، وجلس يفكر فيما ينبغى أن يفعل . وأخيرا تناول عشاءه ، وترك فانيوشا ليمضى الى فراشه ، ثم جلس فى الشرفة غارقا فى تأملاته بعد أن هدأت الحركة فى القرية . وكان بين الحين والآخر يسأل نفسه :

— ماذا أريد ؟ وماذا ينبغى أن أفعل .

وكلما سمع وقع خطوات خفيفة فى الفناء ، أسرع واطل برأسه وكان يرى فى كل مرة طرفا من ثوب ماريانكا وهى تسرع بالعودة الى الكوخ . وكان قد عرف — بالسمع — أن والديها قد فرغا من العشاء ، ومن تبادل الأحاديث ، وأنهما أويا الى فراشهما .

واستجمع شجاعته فى النهاية ، وسار على أطراف أصابعه ، وفتح باب كوخ أسرة ماريانكا ، واختلس نظرة الى الداخل ، ولما رأى أن ماريانكا لا تزال مستيقظة ، أسرع متراجعا ، وعندئذ سمع صوت رجل فوزاقي يقول وهو فى الفناء :

- ما عدا .. ماذا يجري هنا ؟

ثم رأى نازار يتقدم نحوه ويردف قائلا :

- شيء جميل جدا .. لقد رايك بنفسى هذه المرة ، ولسوف
أبلغ الأمر الى شيخ القرية .

وسمر أولتين فى مكانه عاجزا عن الرد . وعاد نازار يقول :

- وساحير والدها ايضا كيف تسمح هذه الفتاة بتسللك الى

كوخها . الا يكفيا حطيب واحد لا .

واستطاع أولتين ان يقول فى النهاية :

- ماذا تريد منى ؟ والى اى شيء بهدف ؟

- لا شيء .. ولكننى ساحير القرية كلها بما رايت .

وكان نازار يتحدث بصوت مرتفع عن عمد ، مما جعل أولتين

يرتعد . يقول له وهو يمسك بذرعه ويجذبه نحو الكوخ :

- تعال معى هنا .. انك تعرف انه لم يحدث شيء .. انها ابنت

ان سمح لى بالدخول . وانا لم اكن اقصد شيئا . انها فتاة شريفة .

فرد نازار ساخرا :

- سوف ترى هذا .

- ولكننى ساعطيك مبلغا من المال على كل حال . انتظرى هنا .

وامرع أولتين الى كوخه ، ولم يلبث ان عاد ومعه عشرة روبلات

أقدمها لنازار وهو يقول :

- لا شيء حدث على الإطلاق . وانت تعرف هذا . ولكننى

أخطأت التصرف على كل حال ، وانى أقدم اليك هذا المبلغ حتى

لا تحب احدا بما رايت .

وضحك نازار وقال وهو يتصرف بعد ان دس المبلغ فى جيبه :

- حسنا جدا .

وكان نازار قد عاد الى القرية فى تلك الليلة ليقوم بمهمة من

أجل ليوكا ، او على الأصح ، لبحث عن مكان يخفى فيه جوادا

مسروقا . وفيما هو يمر بالشارع رأى أولتين فى أثناء محاولته فتح

باب كوخ ماريانكا . وفى اليوم التالى راح يزور امام صديقه ليوكا

وجما فعل ، وبما ظفر به من مال أولتين .

رعى - ات ليلة ، جلس أولئین مسهداً قارناً فى أفكاره وهيمومه ،
ومن ثم لحا الى مفكرته يكتب فيها خواطره واحساساته وظلّ
مشغولاً بالكتابة حتى اوشك الفجر ان ينلج . وقد اختتم مذكراته
فى تلك الليلة بهذه العبارات :

« ان انكار الذات مبدأ عقيم لا جدوى منه .. انه لون من
الكبرياء . وملاد من الاحساس بالشقاء ، وتخلص من الفيرة الى
تملا النفس من سعادة الآخرين ، اذ كيف يعيش الانسان لفيره
ويعمل صالحاً وهو معذب بحب فتاة ما ، ممتلىء النفس بالرغبة
فى الحافز معه : اننى الآن لا اريد السعادة لغيرى ولا للبوکا ، اننى
اريدھا اولاً لنفسى ، اتنى احبھا واتعذب بحبھا ، ومن العار
ان اتركھا لانسان غيرى اذا كان فى مقدورى ان اطعمھا ، واذا كانت
هى بادلنى الحب فعلاً .. ان الحب اقوى من كل شيء .. وان
الانسان وهو على قيد الحياة لابد ان يسعى الى السعادة بقدر ما
يستطيع . ومن ثم ساذهب اليھا وصارحھا بكل شيء . »

وذهب اليھا فى مساء اليوم التالى .. كانت جالسة على
الفرس مارة الراس تخطئ ثوباً حريوياً على ضوء سراج . وكانت
امھا حالسة على منكأ بجوار الفرن تغزل خيوط الحرير من شرايق
دبدان الحرير ، ولما راته ماريانكا ، وثبت من فوق الفرن واسرعت
تعصب راسھا بمنديلها ، ثم حاولت العودة الى ظهر الفرن عندما
نالت لها امھا :

- ماذا بك .. ابقى معنا هنا

- لا .. لا استطيع يا اماء .

ولم يستطع أولئین فى جلسته ان يرى غير جزء صغير من
جسمها وراح يتبادل الحديث مع الام المعجوز الى رحبت به اجمل
ترحيب . وقدمت له الزبيب ومطائر العنب وبعض الثيبيل الجيد ،
واخذت تحته على الطعام والشراب . وكانت المرأة المعجوز تبدو

لأولتين على جانب كبير من الرقة والحنان بعد ان تغلب على صدمة لقائها الاول له .

وقلت في معرض الحديث :

- اتنا نحمد الله . . فكل شيء ميسور لنا . . لدينا حاجتنا من الطعام والشراب ونغضب عندنا من التبيل هذا العام نحو ثلاثة او اربعة براميل يمكن بيعها وانفاق ثمنها في حفلة زواج ماريانكا . . و نرجو ان تشترك معنا في مباحث هذه الحفلة .

وخفق قلب أولتين بعنف وقال والدماء تلهب وجهه :

- ومتى ستكون هذه الحفلة ؟

- ربما في الاسبوع القادم . اننا مستعدون لكل شيء . . ونرجو ان سافر ليوكا بعد الزواج ويستقيم حاله . لقد سمعنا انه يقوم بإغارات على هضاب نوحاي ولانك ان هذا سيعرضه للمحاطر .
- نرجو الا يقع في قبضة التتار . والواقع انني رابته في القرية بسرف في شرب الخمر : كما سمعت انه باع مرة اخرى جوادا مسروقا من هضاب نوحاي .

وشمر أولتين بالخجل حين رآه ماريانكا تنظر اليه بغضب وتقول بصوت كله التحدي :

- وماذا في هذا ؟ ان ليوكا يشرب كغيره من الشباب . وهو يدفع ثمن شرابه من ماله . ولا تنس انه لا يتسبب في ابداء احدهم .
ثم وثبت عن ظهر القرون ، وغادرت القرية واغلقت الباب وراءها بعنف وشيخها أولتين بنظراته ، وقد بره انه اثار في نفسها الانفعال .

ووجدتها في مساء اليوم التالي مفردة في الكوخ تستعد للنوم . وكانت امها مشغولة في حظيرة المواشي . فقال لها في صوت ملهوف :



- ماريانكا .. الا ترحميني ؟ اننى لا استطيع ان امرب لك
من مبلغ حبيبى .

فتراجعت عنه قليلا وتمتت قائلة :

- دعك من هذه الاحاديث الرخيصة . وتأكد انك لن تستطيع
ان تنال منى شيئا .

- اننى جاد فيما اقول .. لا تتزوجى ليوكا . لسوف الزوجك
الزواج بها .

« وقال لنفسه : وبخى .. ماذا اقول ؟ هل يمكننى ان اقول
هذا قدا وبمد فد ؟ نعم .. نعم .. اننى واثق من انى احبها واننى
الزواج بها . »

وقالت هى فى دهشة واهمة وقد زایلها الخوف :

- اريد ان تتزوجنى حقا ؟ .

- نعم يا ماريانكا .. اننى اهم بك فراما واكاد اتقد عقلى ..
اننى سافعل كل ما تامر بئنى به .

ولم يبعد عنه هذه المرة ، وانما مدت يديها ، واخذت بينهما
يده الرقيقة المنددة اليها ، وهمست قائلة بصوت خالم :

- لا تكن احمق يا عزيزى .. هل سمع احد من قبل ان سيدا
مكثما مثلك تزوج فتاة قوزاقية فقيرة ؟ .

- ماريانكا .. اننى احبك ، وهذا يكفى .. وسوف احقق
لك ..

ثم بسط ذراعيه ليطوقها ، ولكنها تخلصت منه وانفلتت كالغزال
الشارد وهى تضحك .

وعاد الى كوخه فى تلك الليلة ، واستغرق فى نوم عميق وقد
لمعتا قلبه رضا عن نفسه وعن الحياة .

الفصل السادس عشر

ليلة المهرمان

كانت القرية تحفل بمهرجان الحصاد في الميدان الكبير الذي يتوسطها وكان الشبان والعنيت برقصون ويغنون بملابسهم الوطنية ويتبادلون الوان الحلوى ، يشربون النبيذ الأحمر ، وكانت اوستنكا تنضيف في كوخها المظلم على الساحة صديقها بلنسكى وصاحبه اولتين . وكان ليوكا وصدقه نازار قد عادا الى القرية ليشاركوا في الاحتفال ، وكان ليوكا كثر الشبان رقصا وثناء . ولما رأى اولتين في نافذة كوخ اوستنكا ، اوما له براسه ، وقال له :

- هلم يا ديمتري واشترك معنا في الاحتفال .

فقال له اولتين بشيء من الجفاء :

- سوف احاول .

وهمس بلنسكى شيئا في اذن اوستنكا . وسرعان ما اسرعتا الى الساحة ثم عادت ومعها ماريانكا التي وقفت خارج النافذة تبسم لاولتين . فقال هذا لها :

- ادخلي يا ماريانكا .. ارجوك .. اننى اريد ان اتحدث اليك في امر مهم .

فاقتربت منه وقالت :

— ماذا تريد ان تقول ؟ —

— اريد ان اسمع منك الإجابة عن سؤالى .

— أى سؤال تقصد ؟ —

افهمسى فى اذنها قائلا :

— السؤال الذى وجهته اليك منذ أيام .. هل تتزوجيننى يا ماريانكا ؟ —

ففكرت ماريانكا برهة ثم قالت :

— سوف اخبرك الليلة . —

ثم اقلت عليه نظره حائبة ، وامرعت للاشتراك فى الغناء الرقص .

وامر ف ليوكا فى الشرب ، وراح يرافض البنات الواحدة بعد الأخرى ولما حاول ان يعانق أوستنكا ، نفر منه وقالت بصوت قاضية :

— اننى عائدة الى البيت .. وسوف تأتى ماريانكا معى .

ولكن ليوكا طوق ماريانكا بذراعه ، وهمس لها قائلا :

— لا يا ماريانكا .. لا تذهبى معها الآن .. اننى اريد ان استمتع بهذه الليلة معك .. عودى الى بيتك وسوف الحق بك .

— لا .. اننى اريد ان استمتع بالاحتفال .. ولسوف اذهيب مع أوستنكا الى مسكنها .

— حسنا .. ولكننى سوف اتزوجك على كل حال .

فانفلتت ماريانكا منه وقالت فى تحد :

— سوف نرى .

المنظر البها برهة وقد قلب جبينه : ثم قال لعاة :

— ماذا تعنين ؟ اذن فان ما سمعته هو الحقيقة ؟ حسنا .. ان موقفك هذا لن ينتهى الى خير .

وتسمرت ماريانكا بالخوف وتمتمت قائلة :

- ماذا تعنى يا ليوكا ؟

- اعنى علائتك بذلك النزيل الرومى !

قهفت قائلة فى غضب :

- وما شأنك انت ؟ انك لست ابى أو امى . وانا حرة فى

علاقتي مع الغير .

- اذن تذكرى كلامى هذه .

لم استدار وصاح مطالبا الفتيات والشبان بالمزيد من الفناء

والرقص .

وقف اولئى بالقرب من مسكنه فى الظلام . فلما رأى ماريانكا

تقترب ، أسرع إليها وطوفها بذراعه وقبلها قائلاً :

- ماريانكا .. حبيبى !

وهمسك !

- يكفى هذا الآن .. وعليك قل أن تقبلنى ؟ أن تتزوجنى

أولاً ..

- لسوف اذهب الى ابيك غدا واخطبك منه .. ولكن يجب

أن تتكلمى الامر حتى تتم الخطبة .

- اتنى لن اخبر احداً بشئ .

- هل تتزوجينى يا ماريانكا ؟

- نعم ..

- ولكن .. هل تحبينى ، هذا هو المهم .. اناشدك الله ان

لصديقنى القول .

فضحكت وقالت وهى تضغط على بديه يديها :

- ولماذا لا احبك ؟ انك شاب ممتاز كريم .. وان يدك لناعتان

والزبد .

- ماريانكا .. اتنى رجاء فى سؤالى .. هل تتزوجينى ؟

« نعم .. اذا وافق ابنى »

« ارجوك . سوف ارجن اذا عرفت انك نخدعيني .. لموقف
الحدث غدا مع والدك واطبيبك منهما »

فلما ضحك ، قال :

« لماذا تضحكن ا .

« لا شيء ، .. ان الامر طريف .

« ولكننى حاد .. سوف اشترى مزرعة كروم وبيتا واتضم
مضميا للجيش القوزاقى .

« المهم ان نخلص لى ولا نجري وراء نساء غيرى . اننى
لا احتمل هذا ..

وليت اوانين من فرط السعادة ومن الالم فى وقت واحد .
السعادة وهو نصت الى كلمات ماريانكا التى تم عن مدى حبها
له ، والالم لانه براها واقعة تحدث اليه فى هذا الامر الخطير بهدوء
تام ، وكأنما الحديث يدور حول شيء آخر لا اهمية له .
وهاد الى مكانه وهو يقول لنفسه :

« ان الحياة ستمتد امامنا ، وسنمهم كل منا الآخر على من
الايام .. وان جبر لها لا يمكن التعبير عنه بالكلام .. ولسوف
اخبر والدتها غدا .. واخبر بلنسكى واحبر القرية كلها ..

وفى حلال هذا ، كان ليوكا قد امرف فى شرب النبيذ حتى
تفقد الوعى فضى ليلته فى حانة بامكا .

واستنقظ ولنين فى بكور اليوم التالى مستشرا ، متسائلا
النفس بالامال التى كان يرجو ان تتحقق بى هذا اليوم .. وونب
من فراشه لسنعد للذهاب الى والدتها ، ويغفر منهما بالموافقة على
طلب يدها . ولم تكن الشمس قد اشرقت بعد حين سمع ضجة فى
الشارع ووقع الاقدام مقرونا « بدفقة » حوافر الجياد ، ومن ثم
لمبرع الى مصدر الضجة بعد ان ارندى سنوته العسكرية فرأى

خمسة من الفرسان القوزاق يعرفون من الشارع وهم يتبادلون الحديث بأصوات مرتفعة وكان ليوكا يتقدمهم بكنيته المريضة فوق جواده الرائع . وكان أحدهم يقول :

— لنمض الى المخفر الامامى .

وقال آخر :

— كن على حذر .. انك لم تخرج جوادك كما ينبغي .

وصاح ليوكا بوجه متوهج :

— هلم الى البوابة الجنوبية .. انها تؤدى الى اقرب طريق .

وصاح اولئين قائلا :

— ماذا حدث ؟ الى اين انتم ذاهبون ؟

— اتنا مسرعون الى مصابة من انتز في الكثبان الرملية على هذه الضفة ان مددنا قليل ، ولكننا لا نستطيع الانتظار اكثر من هذا .

وادرك اولئين ان تخلفه عن الاشتراك معهم في هذه الحملة سيكون مثار الحديث في القرية ، ومن ثم بادى الى بندقيته فحملها ، والى جواده فأسرجه بمساعدة فانيوشا ، واستطاع ، هو وتابعه الشاب ، ان يلحقا بالفرسان الخمسة عند بوابة المدينة ، وان ينضموا اليهم .

وبعد مسيرة نصف ساعة ، لحق بهما النان آخران ، كان أحدهما مدرسا شابا بالمدرسة العسكرية ، وكان في زيارة للقرية ، ومن ثم عهد اليه بقيادة الحملة ، ولكن الفائدة الفعلية لها كان ليوكا ، اما اولئين فان احدا لم يحتفل به ، او يهتم بامرهم .

ورأى اولئين ان يتقرب من المدرس العسكري الشاب ليعلم منه ماذا حدث وكان المدرس لطيفا ، فقال لاولئين ان طابورا من جنود المخفر كان يقوم بجولة تفشيشية حين لمح عددا من رجال التنوير الجبلين في الكثبان الرملية على بعد نحو مئة اميال . واطلق التنوير النيران على الطابور العسكري فالتكّن انهم لن يستسلموا حتى



الوقت . ولما كان الظاهور لا يزيد على ثلاثة جنود وجاوبش ؟ قلنا
مراجعة افراده . وارسل الجاوبش احد الجنود طالبا النجدة .

واشرقت الشمس ، وبدت نلال الرمال واضحة في كل اتجاه .
وصار افراد الحملة في صفات وهيونهم لا تفصل عن شيء ، وكان
ليوكا يمشي في المقدمة على جواده الرائع ، مرفوع الرأس ، متوهج
الوجه ، حاد النظرات ، وكان اولئين بختلس النظر اليه بين الحين
والآخر في اعجاب مقرون بالحدس الغيرة ، وكان في الوقت نفسه
قد قرر حين رأى القوزاقين تتجنونه ، الا شترك في المعركة .
ولاسبما بعد ان البت شجاعته في معارك سابقة نال عليها بعض
الاورمة ، ولكن السبب الرئيسي لرفضه في عدم الاشتراك هو
الشعور بالسعادة الغامرة ، وقد عز عليه ان تطفىء المعركة هذا
الشعور .

وفجأة دوى طلق نارى من بعيد ، ولحمس المدرس الشاب
واهتاجت مشاعره ، ولكن افراد الحملة القوزاقية لم يظفروا
بعيونهم . ولم تهتز في ابدانهم شعرة ، وانما ظلوا منطلقين بسرعة
راة ليوكا الذى كان يشدلع نحو مخبأ التتر بوجه كله عزم واصرار .
وفجأة وقف ليوكا جواده وقال :
- ارى شخصا على جواد من بعيد .

ومد اولئين بصره في كل اتجاه . ولكنه لم ير شيئا . ولكن
القوزاقين لم يشعروا ان راوا ثلاثة رجال على جيادهم فعال اهم
اولئين :
- اهؤلاء هم التتر .

ولم يجب عليه احد الجنود ، وكانما ارادوا بصمتهم ان يبينوا
له مدى حماقته في توجيه سؤال كهذا . وكانما ارادوا ان يغاوا
له : هل يعمل ان يظهر التتر انفسهم بهذا الشكل .
وقال لئول : هو يشير الى احد الجيود الثلاثة المرعيين نحوهم :
- هاهو ذا الرميل رودكا بلوح في يده . . ترى ماذا حدث له .

وبعد احطاطات اقل الجنود الثلاثة . وكان من بينهم الجاوبش
موجودا . وانصموا لبقية الحملة .

وسأل ليوكا الجاويش جوركا قائلا :

— على أية مسافة يكمن التتر ؟

فأشار إلى تل رملي وقال :

— أنهم على مرمى البنادق من هذا التل . وقد تركت أحدهم

يجنودى ليمنهم من الزحف .

وترجل الجميع عن الجياد ، ومضوا إلى التل الرملي حيث كان

إحد الجنود يتبادل مع التتر إطلاق النار . ومرت رصاصة بجوان

أولنين ، فقفل وتراجع مما جعل ليوكا يقول له ساخرا :

— ابتعد أنت عن هذا المكان .. أنه شديد الخطر عليك .

ولكن أولنين أصر على أن يرى هؤلاء التتر المفيرين المصريين على

الانتصار أو الموت .

وأطل برأسه من فوق حافة المرتفع ، ولم يلبث أن لح على

مسافة بعيدة ، نتوءا من الرمال تبدو وراءه قلنسوات التتر وفوهات

بنادقهم . وكان عددهم لايزيد على تسعة رجال أشداء .

وقال ليوكا :

— يجب أن نحضر عربة تبن وندفعها أمامنا ونلوذ بها في

إثناء تقدمنا نحوهم ، والا فإنهم سيصيدوننا الواحد بعد الآخر .

ثم أشار إلى مرتفع رملي قريب وقال :

— توجد في هذا المرتفع عربة تبن وضعت لهذه الأغراض .

هلم نأت بها .

وسرعان ما كان جنود الحملة يدفعون بعربة التبن أمامهم

مستترين وراءها في تقدمهم نحو التتر المترقبين لهم . وكان رجال

التتر التسعة متحفزين ، وقد ركعوا على الرمال واستعدوا لإطلاق

النار في الوقت المناسب .

وظل الجنود القوزاق ، وراء العربة . يقتربون حثيثا من التتر .

وكان أولنين يتوقع أن يرى التتر يطلقون النار في أية لحظة ، ولكنهم

إكأنوا يتحفزون وهم يرددون نشيدا جنائزيا ، وفجأة توقف النشيد

وانطلقت رصاصة من صفهم ، ومالت الجو صيحاتهم .. ولعناتهم

وظلقات بنادقهم ، ولكن الجنود القوزاق ظلوا يتقدمون مستترين
بعربة النبن ، دون ان يطلقوا رصاصة واحدة ، حتى غدوا على مسافة
باردات من ممكن التثر .

وفى لحظة واحدة ، اندفع الجنود من جانبي العربة ، بتقدمهم
ليوكا ، وصياحهم يمزق الجو .. وسمع أولئين دوى بضغ طلقات
نارية ، لم صيحات توجع وأنين ، ولاح له انه رأى الدماء تتطاير
بين سحب الدخان . وترجل عن جواده بسرعة .. واندفع الى
زملائه ليسامدهم فى المعركة ، ولكنه فرجى بان كل شىء انتهى فى
لحظات ، وان الجنود القوزاق اطبقوا على انتثر وقتلوا بعضهم
واسروا البعض الآخر ، وكان ليوكا ممسكا بذرراع ترى جريح وهو
يصيح فى زملائه قائلا :

— لا تقتلوه .. اتنى اريد حيا .. انه شقيق التثرى الذى
قتله .. انه الرجل نفسه الذى جاء ودفع الفدية لينلم جثة
إخيه .

وكان ليوكا يلوى بعنف ذراع التثرى ، ولكن هذا تخلص منه
تجأة ، واطلق عليه النار من هدارله وسقط ليوكا على الأرض
وانبثقت الدماء من بطنه ، ولكنه وثب واقفا وراح يغمغم بالملئى
وحاول ان بهجم على التثرى ، ولكن نازار كان أسرع منه ، فاطلق
مسدسه على التثرى وقضى عليه . واسرع زملاء ليوكا اليه
لاسمانه .

وانتهت المعركة ، وحملت الجثث واقتيد الاسرى الى دار شيخ
القربة وهاد أولئين الى مكانه ، وفى المساء سمع ان ليوكا لم
يمت ، وان كان جرحه خطيرا . ولكن احد الأطباء عبر النهر ووجد
بالحضور لاسمانه ببعض الأعشاب المعينة .

وانتظر أولئين حتى فرغت ماوياتكا من اصمالها المنزلية فى الفناء
وفى حظيرة المواشى ، ثم ذهب اليها فى كوخها . وهناك رآها واقفة
وظهرها اليه ، فظن ان الحياء العدى بقلها على امرها ، ومن ثم
قال :

— ماوياتكا .. هل سمحين لى بالحديث معك ؟
فاستدارت نحوه فجأة وقد تبللت عينها بالدموع ، وارسم

البحرن العميق على وجهها الجميل . ونظرت اليه في تراقع صامتة !
وعاد هو يقول !

- ماريانكا .. لقد رجيت ..
قهتفت قائلة وقد انسابت الدموع على وجنتيها غزيرة !
- دعني وهاتني ..
- ما هذا ؟ ماذا حدث ؟
فقالت بصوت جاف !
- ماذا حدث ؟ القوزاقيون قد قتلوا .. هذا هو ما حدث ..
- اتعنين ليوكا !
- ابتعد عني .. اننى لا اريد منك شيئا ..
فقال لها عاقبا !
- ماريانكا !
- انك لن تنال منى شيئا ابدا ..
فقال اولئين متوسلا !
- ماريانكا .. لا تتحدثى الى هكذا ..
فصاحت الفتاة وهى تضرب الارض بقدمها !
- ابتعد عني ، اقرب عن وجهى . اننى اكرهك ..

وادرک اولئين من تعبيرات وجهها المملوء بالكراهية والفضب
والاحتقار انه فقد كل امل معها ، وانه ، كما كان يظن من قبل !
لا يعنى فى حياة هذه الفتاة شيئا على الاطلاق .
وبهذا الشبحور الثقيل ، اندفع خارجا من الكوخ دون ان يجيب
بشيء .

وبعد عودته الى مسكنه ، رقد فى سريره نحو ساعتين بلا
حراك . ثم نهض ومضى الى قائد وحدته وطلب منه الاذن بالانضمام
الى القوات المقاتلة . وبدون ان يودع احدا ، وبعد ان ارسل
فانيوشا « ليسوى » حساب اقامته مع والد ماريانكا استعداد للرحيل
الى القلعة التى تقيم فيها القوات المقاتلة . وكان المعجوز ابروشكا
هو الوحيد الذى جاء لزيارته فى ذلك اليوم . فجلس معه يشرب

الكأس بعد الأخرى حتى وقفت المركبة التى صقلته وحاجاته الى القلعة امام الباب .

وقال أولئين للمجوز ابروشكا :

- كيف حال ليوكا ؟ هل سيشفى من جرحه الخطير ؟

- الله وحده يعلم . ولكن شيخ القرية ارسل يستدعى طبيباً جراحاً من مدينة جرونزنى . . آه . . لا كرتنى . . يجب ان امضى الى ماريانكا واطمنئها عليه . .

وتنهض أولئين وصافح المجوز قائلاً :

- حسنا يا ابروشكا . . وداعا . .

وضغط المجوز على يد أولئين بحرارة وقال :

- وداعا يا صديقى الشاب . . اتنى احبك . . احبك كابن لى وداعا .

ولما اخذ أولئين مفعده فى المركبة . قال ابروشكا :

- اعطنى تلكاوا يا عزيزى أولئين ، ان معك بندقيتين . . اعطنى احدهما . . ماذا ستفعل بائننتين ؟

فابتسم أولئين ، وقدم بندقيته للمجوز ، على حين قال فانوشا ستكر :

- ان جنح هذا المجوز الخبيث ليس له حدود .

وفى تلك اللحظة خرجت ماريانكا من حظيرة المواشى . والقش للفرقة عابرة على المركبة ، ثم امتدارت وسارت نحو باب كوحها . وغمز فانوشا بعينه وقال وهو يصحك بحماسة :

- يا لها من فتاة !

وهتف به أولئين غاضباً :

- هلم امضى . .

وصاح المجوز ابروشكا قائلاً :

- وداعا يا ولدى . . وداعا . . اتنى لى اتاك .

ولما تحركت المركبة ، نظر أولئين وراه ، واذا هو يرى المجوز ابروشكا يتحدث مع ماريانكا فى شأن من شؤنه الخاصة كما يبدو دون ان يحاول هو او الفتاة القاء نظرة واحدة عليه .

الدلالة القويمة للطبائفة والنشئة

الدار القومية للطباعة والنشر

مركز النهضة عامع الثقافي

في العالم العربي
من القاهرة

يصدر عنهما

روايات عالمية الكتاب الماسي

مناهج ومفاهيم	من الشرق والغرب	كتب سياسية
كتب قومية	في الهرم العالمي	أخبار العالم
أخبارنا العربي	أخبارنا للطالب	أخبار العالم العربي
دراسات إنشائية	رسائل ماسية	الجوائز العالمية

مكتبات الدار

نيويورك

لندن

الجزائر

بيروت

طرابلس

بغداد

أخترطوم

الاسكندرية

القاهرة

مجلة الدار القومية

مجلة بنار الوطن

ARAB
OBSERVER

ARAB
OBSERVATEUR

Le Scribe
ARAB REVUE

Le Scribe
ARAB REVUE

Le Scribe
REVUE ARABE

Le Scribe
REVISTA ARABE

Le Scribe
ARAB REVUE